الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministere de l'enseignement superieur et de la recherche scientifique

ⴰⵖⵏⵣⵀⵉⵙⵏⵉⵎⵉⵡⵉⵏⵣⵡⵉⵙⵉⵏ ⵜⵉⵙⵙⵏⵉⵜⵉⵏ

ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵖⵜ ⴷ ⵜⵖⵔⵉⴼⵜ

ⵜⴰⵣⵣⴰⵢⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵖⵜ ⴷ ⵜⵖⵔⵉⴼⵜ

جامعة مولود معمري – تيزي وزو	*UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU*
كلية الآداب واللغات	*FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES*
قسم : اللّغة العربية وآدابها	*DEPARTEMENT : LANGUE ET LITTERATURE ARABES*
الرقم: ...../...../*2020*	
رقم الترتيب:	
الرقم التسلسلي:	

مذكرة التخرج لنيل شهادة ماستر (ل.م.د)

الميدان: اللغة والأدب العربي.

الفرع: لغة وأدب عربي.

التخصص: أدب جزائري.

المرأة بين المركز والهامش في رواية "بوابة الذكريات" لآسيا جبار.

إعداد الطالبتان:

– عوماري طاوس.

– نقيش وسيلة.

إشراف الأستاذ:

رابح أومادن.

لجنة المناقشة

د. نبيل محمد صغير، أستاذ محاضر "ب"، جامعة تيزي وزو..... رئيسا.

د.رابح أومادن، أستاذ محاضر "ب" ، جامعة تيزي وزو ..... مشرفاً ومقرراً.

د.حامي خديجة، أستاذة محاضرة "ب"، جامعة تيزي وزو..... عضوا ممتحناً

السنة الجامعية 2022/2021

إهداء

أهدي ثمرة عملي هذا إلى:

– إلى من أضاء لي سنين عمري والّذي كدّ وتعب ليضمن لنا العيش الكريم أبي الغالي "سعيد" حفظه الله وأطال في عمره.

– إلى من حملتني وهنا على وهن، التي حرمت نفسها لتعطيني والتي زرعت فيّا بذرة الحب وسقتني من عطفها وحنانها، إلى من فرح لسعاتي وبكى لألمي أمي الحنون "وردية" أطال الله في عمرها وحفظها من كلّ مكروه.

– إلى من ذقت معهم حلو الحياة أخي العزيز وأخواتي المؤنسات.

– إلى رفيقة دربي وصديقتي "طاووس".

إلى سندي في الحياة الداعم لي مشواري زوجي "فاتح".

وسيلة.

إهداء

أهدي عملي هذا إلى:

– من حملتني وهنا على وهن إلى من غرست في روحي بذرة الأمل والحب وسقتن من بحر حنانها أمي الحبيبة "روزة" أطال الله في عمرها.

– إلى من أنار دربي وكان سندا لي ومن غرس في قلبي التّحدي لأصل إلى ما أنا عليه اليوم أبي الكريم والحنون "محمد" حفظه الله وأطال في عمره.

– إلى أخواتي الأربعة وأخواني الاثنين حفظهم الله.

– إلى زوجي الحنون الّذي ساندني في كلّ أوقاتي العصبية وأزهر لي أيامي "عبد السلام" حفظه الله.

– إلى كلّ رفقاء دربي وبالأخص صديقتي الحبيبة "حسينة" و"وسيلة" وإلى كلّ من ساندني.

طاوس.

شكر وعرفان

الحمد لله أولا وأخيرا لإتمام هذا العمل البسيط فهو الموقف والمعين في كلّ الأمور.

تحيّة احترام وتقدير وعرفان بالجميل إلى الأستاذ المشرف "رابح أمودان" الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيّمة فلك منا كل التقدير وتمنياتنا لك بالتوفيق في المشوار المهني والشخصي.

كما لا يسعنا أن نتقدّم بجزيل الشّكر للجنة المناقشة التي وافقت على مناقشة هذا البحث.

مقدمـــة

إنّ ما يعرف عند عامة النّاس وما يتداول ظاهريّا بينهم أنّ المرأة هي نواة الأسرة ونصف المجتمع الّذي لا يكتمل إلاّ بها، لكن عند التغلغل في هذا الموضوع نجد أنّ المرأة كانت منذ الأمدّ البعيد ولازالت حتى اليوم تعاني من التّميّز ومظالم في الحقوق مقارنة مع الآخر/ الرّجل الّذي يمثّل السّلطة فهو الآمر الناهي الّذي يملي على المرأة كيفيّة العيش والتّفكير ويملي عليها الواجبات والأوامر التي تتحكّم فيها القوانين المجتمعيّة الذّكورية، وبهذا قد ظلّت المرأة على الهامش تعيش وفق المعايير المسطّرة من طرف الذّكر، وكانت بدورها تشقى في الحياة وترضخ للأوامر بالقبول والطاعة، ذلك لأنها لم تجد من يدعّمها ويحمي وجودها لتستقوي به لأنّ كلّ من حولها ضدّها بداية من الأسرة والعائلة إلى خارج المجتمع فهي الكائن غير المرغوب والمنبوذ من طرف الجميع، من أجل ذلك كانت تكبت رغباتها في نفسها إلى أن أمست جسدا لا روحا يتحكّم فيه الرّجل ويستأثر به لنفسه، ونكر الكلّ إسهامات المرأة وما قدّمته، والقليل ممّن يراها أنّها الرّمز للمحبّة والمودّة والعاطفة قدّمت الكثير للرّجل والأبناء والأسرة والمجتمع، فهي المربيّة للأجيال وهي الرّكيزة التي يستند إليها الرّجل في الحياة والّتي تساعده في حمل أعبائها.

استطاعت المرأة شيئا فشيئا التّحرّر من قيود العادات والتقاليد من جهة ومن السلطة الاجتماعية والذّكورية من جهة أخرى، وذلك سلك طريق العلم والمعرفة وممارستها للتّحدي بحيث كانت غايتها الوحيدة تحقيق النّجاح وإرجاع مكانتها المسلوبة، وكانت المشاريع الفكريّة هي الأولى التي بادرت ونادت من أجل تحقيق التحاكي بين الجنسين؛ ممّا فسح المجال للمرأة لتحقّق ذاتها فكان الأدب هو السّبيل الوحيد للبوح لإسماع صوتها ومحاولة تحرّرها من القيود، وبذلك قد برز أدب جديد في السّاحة الأدبية وهو ما يعرف بالأدب النّسوي الّذي تنتجع المرأة والّذي تدور أغلب موضوعاته حول القضايا النّسوية التّحرّرية. من أجل ذلك عمدنا إلى دراسة موضوع المرأة في الرواية النسوية بين المركز والهامش الموسوم ب"المرأة

بين المركز والهامش في رواية بوابة الذكريات" للروائية الجزائرية "آسيا جبار"، ومن هنا كان السبيل لطرح مجموعة من التّساؤلات التي تتمثّل في:

– ماذا نقصد بالمركز والهامش؟ وما هي العلاقة التي تربط بعضهما البعض؟

– ما هو الموقع الّذي تحتله المرأة من خلال موضوع المركز والهامش؟ وفي أيّ مجال همشت أو استحوذت على السّلطة؟

– كيف تحقّق ثنائية المركز والهامش دورا جماليّا في بناء عالم الرّواية؟

ومن الأسباب الّتي دفعتنا للتّطرّق لهذا الموضوع هي الأهمية التي شغلتها قضيّة المرأة فيما يتعلّق بوجودها في الحياة؛ بحيث تسعى من خلال هذا البحث إلى إبراز مكانة المرأة في مختلف الميادين الحياتية وفي الأدب، ومعرفة العوامل المساعدة لانتشال المرأة من الهامش وتحسين ظروفها، وللوصول إلى هذه الأهداف ارتأينا لتقسيم بحثنا لمدخل وفصلين (نظري وتطبيقي) مقدمة وخاتمة؛ بحيث تطرقنا في المدخل إلى الرواية بمفهوميها اللغوي والاصطلاحي، أمّا الفصل الأوّل المعنون ب " المرأة بين المركز والهامش في رواية بوابة الذكريات لآسيا جبار" فقد قسمناه إلى مبحثين، فتطرقنا إلى المبحث الأول إلى جدل المفاهيم وطبيعة العلاقة بين المركز والهامش، وفي المبحث الثّاني المعنون ب "الرواية النسوية ومكانة المرأة بين المركز والهامش" تحدّثنا فيه عن النّسويّة بتتبع نشأتها ومراحل تطوّرها وسعينا إلى إبراز مكانة المرأة في الواقع الاجتماعي وفي التراث، وكذلك في الديانة السماوية مع الإشارة إلى الاختلافات.

أمّا الفصل الثّاني الموسوم ب "دراسة تحليلية لرواية بوابة الذكريات لآسيا جبار"، فقد جاء كمقاربة تطبيقية للموضوع إذ حاولنا فيه إبراز مواقع الهامش والسلطة للمرأة في المدوّنة وختمنا بحثنا بخاتمة تحمل أهمّ النّتائج المتوصّل إليها؛ بحيث اعتمدنا في دراستنا على المنهج التحليلي الوصفي باعتباره الأنسب لموضوعنا.

كما كان لبعض المراجع الأثر البارز في هذه الدّراسة نذكر منها "النسوية قراءة في الخلقية المعرفية لخطاب المرأة" للدكتور "رياض القرشي"، المرأة واللغة" ل"عبد الله الغذامي" ومدونة "بوابة الذكريات" ل"آسيا جبار".

ولعل أبرز الصعوبات التي واجهتنا قلّة المصادر والمراجع وصعوبة الحصول عليها، إضافة إلى قلّة الدّراسات المتعلقة بالموضوع، لكن بفضل الأستاذ المشرف تمكّنا من تجاوز الصعوبات.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نتقدّم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف "أمودان رابح" على ما بذله من جهد في توجيه هذا البحث للمسار الصّحيح ودون أن ننس أن نتقدم أيضا بجزيل الشكر للجنة المناقشة التي وافقت على مناقشة بحثنا هذا.

مدخل

مفهوم الرواية:

تعدّ الرواية من أكثر الفنون اتصالا بالمجتمع؛ إذ تعبّر عن مشكلاته وهمومه وتعط المجال للبوح والاسترسال والوصف والتقصي؛ بحيث عرفت حضورا كبيرا في المشهد الجزائري منذ التسعينات سواء بالتعبير العربي أو الفرنسي.

فقد جاء في "لسان العرب" أنها «مشتقة من الفعل روى ابن السكيت قال رويت القوم أرويهم إذا سقيت لهم ويقال أين رييتكم أي من أين تروى الماء ويقول روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه وقال الجوهري روية الحديث والشعر فأنا راو في الماء والشعر ورويته ترويه أي حملت إلى الرواية»[1]، أما بمعنى آخر:

فالرواية تعني التفكير في الأمر وتعني نقل الماء أو نقل النص على الناقل نفسه وتدلّ أيضا على الخبر.

وعلى الرغم من هذا التنوع في المدلولات إلاّ أنّ هناك تشابها بين هذه المعاني، فجميعها يفيد عملية النقل والجريان والارتواء المادي (الماء، أو الروحي) النصوص والأخبار.

أمّا بالنسبة لمفهوم الرواية اصطلاحا، فقد عرّفها "عبد المالك مرتاض" في كتابه "نظرية الرواية" قائلا بأنّ «الأصل في مادة روي في اللغة العربية هو جريان الماء ووجوده بغزارة أو ظهور تحت أي شكل من الأشكال أو نقله من حال إلى حال أخرى من أجل ذلك يطلقون على المزادة الرواية لأنّ الناس كانوا يرتوون من مائها. ثم على البعير الرّواية أيضا لأنه كان ينقل الماء فهو ذو علاقة بهذا الماء كما أطلقوا على الشخص الّذي يسقي الماء هو أيضا الرواية»[2].

كذلك يطلق على الرواية أنّها جنس على اعتبار أنّ لفظة جنس أعم وأشمل من النوع، وبالحديث عن الفن الروائي نتطرق إلى الأشكال القصصية المتمثلة في الرواية، القصة، القصة القصيرة والرواية تختلف في الشكلين الآخرين بعدّة مميّزات منها اتساع الرواية في أحداثها وشخصياتها، عدا أنها تشتغل حيّزا أكبر وزمنا أطول وتتعدّد مضامينها.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ج 14، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، دت، ص 427.

[2]– عبد المالك مرتاض: نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت، د ط، ديسمبر 1998، ص 23–24.

أما بالنسبة لمعجم المصطلحات الأدبية ل"فتحي إبراهيم" فقد ورد فيه «أنّ الرواية سرد قصصي نثري يصوّر شخصيات فرديّة من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، وأنها شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، فقد نشأ من البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية وما صاحبها من تحرّر الفرد من التبعيات الشخصية. إذن فالرواية هي مرآة المجتمع من خلال تعبيرها على الحياة بتفاصيلها وأحداثها وهي استكشاف لخبايا النفس ووسيلة لمجابهة الواقع ومحاولة رفضه والتمرد عليه وبقاء ومقاومة»[1].

وقد شملت الرواية كذلك موضوع المرأة أو بالأحرى هوية المرأة في المجتمع الجزائري ووضعها الاجتماعي، همها الإنساني وصراعها مع الآخر، وقد وقع اختيارنا على رواية "بوابة الذكريات" للروائية آسيا جبار، التي نراها تعالج موضوعات مرتبطة أشد ارتباط بواقع المرأة كالتهميش والانكسار والشعور بالدونية واختزال دورها الاجتماعي في عطائها الفكري وفي مقابل مركزية الآخر وفق الرؤية الفنية للرواية.

المرأة والرواية

تعد الرواية من أكثر الأجناس الأدبية انتشارا في المجتمع، فهي عبارة عن نتاج تكير المجتمعات كونها تتميز بالقدرة على نقل ووصف وتحليل قضايا المجتمع من منطلق أن الفن على صلة وثيقة بالحياة لا فاصل بينهما، فالأدب مرتبط بالواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه ويتأثر به، فيجد نفسه ملزما بطريقة لا إرادية في نقل هموم وتجارب حياة أناس محيطة إلى عالمه الروائي.

إن الرواية الجزائرية كغيرها في الأقطار العربية الأخرى مرتبطة بظهورها بالالتفاف نحو الواقع والعكوف عليه وذلك بطرح المواضع والقضايا الأكثر جدلا في المجتمع وفي مقدمة هذه المواضيع نجد المرأة والمكانة التي تحتلها ووضعيتها في المجتمع، حيث نجدها تحتل مساحة كبيرة وحظا وافرا في الدراسات الأدبية وذلك راجع لطابعها الأنثوي وحساسية قضيتها.

[1]– فتحي إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، م للنشر المتحدين تونس، 1988، ص 60–61 نقلا عن صالح مفقودة، صورة المرأة في الرواية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2001/ 2002 ص 21–22–23.

فنجد بذلك الكثير من الأدباء وقد تناولوها تارة بسلبية وتارة أخرى بإيجابية، وكانت بذلك القاسم المشترك بين الأدباء كموضوع للدراسة والتحليل، ومن خلال معالجة الأدب لموضوع المرأة كما يتخيلها، بحيث نجد بعض الروائيين قد صوروها من ناحية الجمالية، وذلك فبما يتعلق بالحس فقط دون الاهتمام بجوانب أخرى من منطلق الشكل الخارجي يحتمي أهمية بالغة عندهم، وبذلك اهتم أدبهم بالمرأة من جانب أنها وسيلة الإشباع الجنسي لا غير.

"فقد ظل الأدب مرتبط بالجنس يحسب نبضه وينطق بجماله، ويتغنى بمفاتنه، والرواية الجزائرية عبرت على أغوار الجنس وخطاياه"[1]، في حين ركزت روايات أخرى على جوانب تتعدى الجمالي فنجد من الروائيين من يصورها تصويرا حسيا أو سيربطها بقضية أخرى كقضايا الثورة والحرية، بحيث يكون حامى لمغزى يكمن في إبراز دلالات المرأة بجعلها رمزا للقوة وللصلابة.

فنجد "الروائي يجسد بعض الأمور المعنوية في صورة حسية تأخذ شكل امرأة وعندها يصير هذا الرمز مجسما تصب فيه المعاني"[2].

ومن منظور آخر نجد بعض الأعمال الروائية قد تناولت موضوع المرأة كشخصية مهمشة في المجتمع، فنجدها قد اهتمت بها وبوضعها المأساوي من ناحية التحقير التي تتعرض له، فتسعى لإبراز معاناتها ومآسيها ولكن دون تقديم أية حلول سلبية عن الوضع الراهن لها.

والرواية في معالجتها لقضية المرأة "تناول مشكلة خضوعها واضطهادها وتشير إلى الجهود التي تحاول تحطيم ذلك الاضطهاد، ولا تكاد تتجاوز عرض الإشكالية ولا تجرؤ على تقديم صورة مثلى كبديل عن الوضع المتردي"[3].

---

[1]– صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعو محمد خيضر، بسكرة، ط2، 2006، ص171.

[2]– المرجع نفسه، ص139.

[3]–المرجع نفسه، ص10.

ومن هنا يظهر لنا أن الأديب في عرضه لموضوع المرأة في الرواية نجد أنه يقدم وجهة نظره الخاصة فيسهم برؤيته حسب رأيه وخلفيته الفكرية، ومن خلال هذا نستشف وجهة نطر الأدباء في تفسير الموضوعات المتعلقة بالمرأة وما يأثر فيها من قيم وعادات وتقاليد مجتمعية، ومن هذا المنطلق نستنتج أن قضية المرأة لا تستقي من عمل روائي واحد بل تتظافر الأعمال الروائية لمختلف الأدباء لرسم صورة المرأة والتعبير عن مشاكلها وهمومها، وبالتالي تقديم نموذج متكامل لها من مختلف النواحي.

الفصل الأوّل:

جدلية المركز والهامش والكتابة النسوية

المبحث الأوّل: جدل المفاهيم وطبيعة العلاقة بين المركز والهامش.

المطلب الأول: جدل المفاهيم وطبيعة العلاقة

المطلب الثاني: جدلية المركز والهامش

المطلب الثالث: طبيعة العلاقة بين المركز والهامش.

المبحث الثاني: الرواية النسوية وتواتر صورة المرأة بين المركز والهامش.

المطلب الأول: النسوية والكتابة الإبداعية.

المطلب الثاني: تصوير الدين للمرأة.

المطلب الثالث: التّصوير الثّقافي للمرأة.

المبحث الأوّل: جدل المفاهيم وطبيعة العلاقة بين المركز والهامش.

المطلب الأول: جدل المفاهيم وطبيعة العلاقة:

مفهوم المركز والهامش:

يعدّ المركز والهامش من بين أكثر المسائل أو بالأحرى القضايا التي أثارت جدلا كبيرا بين الباحثين، إذ تعدّ من أكثر المصطلحات غموضا حيث تدخل في عدّة مجالات منها الاقتصاديّة والسياسية والاجتماعية والثّقافية..... وللتّعرّف على هذين المفهومين تطرّقنا في دراستنا هذه إلى عدّة محطّات التي من شأنها تبين طريق البحث ولتنقض من خلالها جذور هذا الموضوع في شتى المجالات.

1-مفهوم المركز:

أ-لغة: ركز: الرّكز لمعنى غرزك شيئا منتصبا كالرّمح ونحوه وتركزه ركزا في مركزه وقد ركّزه يركّزه ركزا وركّزه غرزه في الأرض.

والمركز منابت الأسنان ومركز الجند الموضوع الّذي أمروا أن يلزموه وأمروا أن لا يبرحوه، ومركز الرّجل موضعه، يقال أخذ فلان بمركزه[1]. ولعلّنا نقول ارتكزت على القوس، إذا وضعت بينها بالأرض ثمّ اعتمدت عليها وقد يكون ترتكز بمعنى استندّ أو توكأّ في قوله عزّ وجلّ: «هي عصاي أتوكّأ عليها وأمسّ بها على غنيمي ولي فيها مآرب أخرى»[2].

وركز الحرّ السّفا يركزه ركزا: أثبت في الأرض قال الأخطل: فلما تولى في جحافله السّفا وأوجعه مركزوه وذوابله[3].

---

[1]- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الخام، ط 1، 1999، ص 355.

[2]- القرآن الكريم، سورة طه، الآية 18.

[3]- ابن منظور: لسان العرب، ص 355.

ب-اصطلاحا:

لقد اختلف معظم الباحثين حول قضيّة المركز والهامش؛ حيث تطرّقوا إلى دراستها من عدّة جواب ومنظورات مختلفة بحيث تبيّن لنا مدى اهتمامهم لهذه الدّراسة على مستوى البنية السوسيو ثقافية وسوسيو اقتصاديّة، كما هو الشّأن في الدراسات السّياسيّة والنّفسيّة.... فبذلك نجد تعريفات مختلفة ومتباينة حسب المهتمّين فنجد مثلا:

-المركز اجتماعيا:

يرد المركز لكثرة في الدّراسات الاجتماعيّة كعلم الاجتماع بصورة كبيرة؛ إذ يشير إلى مستوى عال من التركيز والهيمنة ويشير كذلك إلى الوضع الّذي يستغله الشّخص أو جماعة من الأشخاص داخل جماعتهم[1]، فهو يتجلّى في التّقسيم الطّبقي لفئات المجتمع فقد يحتلّ الفرد في ضوء المعايير الاجتماعيّة مكانة اجتماعيّة عليا في سلم التّدرّج الاجتماعي، فتكون بذلك متوسطة أو دنيا فبذلك يصنف المجتمع هذه المكانة تبعا للمراكز التي يشغلها الفرد فمثلا الطبقة الأدنى أو الفقراء لا يمكنهم ممارسة عادات الأسياد والأغنياء، وذلك نظرا للاختلاف الكبير الموجود بينهم، ولكن تتقاطع هذه العادات في حالات خاصة فنجد مثلا في المجتمع الإسلامي أنه لا يرى أدنى فرق بين الغنى والفقر أو القوى والضعف أو لا يمارس السلطة ضد الضعيف لكون الدين ينهى عن ذلك ولا يعطي السّلطة للقويّ فقط.

2- مفهوم الهامش:

أ-لغة: يعرّفه "الفيروز أبادي" في قوله: «حاشية الكتاب بمعنى الكلام الخارج عن متن الصّفحة، كحاشية تكون إضافة معلومة أو شرح لما سبق ويعرف كذلك: همش، الهمشة بمعنى الكلام والحركة، هَمَشَ وهمِش القوم فهم يهمشون وتهامشوا، وامرأة همشى الحديث بالتحريك تكثر الكلام وتجلب»[2]. والهمش السريع العمل بأصابعه.

[1]- علي عبد الرزاق علي، دراسات في علم المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984، ص 20.

[2]- أنطوان نعمة وآخرون، المجلد الوسيط في اللغة العربية والمعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، ص 4371.

والهمَش العضّ وقيل هو سرعة الأكل فقال "أبو منصور" الّذي قاله اللّيث في الهمش أنه العض الغير صحيح وصوابه.

وقيل كذلك عن المرء عاش على الهامش بمعنى عاش منفردا أي غير مندمج في المجتمع أو لا يريد الاندماج فيه، وهذا بإرادته وإذا كان بغيرها فهو مهمّش من قبل غيره أو ممن له السّلطة عليه.

ب-اصطلاحا:

بالرّغم من اختلاف التعاريف اللغوية التي تطرقنا إليها من خلال دراستنا لمفهومي المركز والهامش إلاّ أنّ هناك علاقة تربط بينهما وهي علاقة القلب والنابض أي لا يمكن الفصل بينهما، وهذه العلاقة أو القوة تكون في عدّة مجالات وميادين، فقد نجدها إما اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية وحتى ثقافية، وبذلك فإنّ الفصل بينهما مستحيل لأنهما متلازمان فما أن يتمّ تحديد البؤرة أو المركز حتى يتجلّى لنا المحيط الّذي يدورني فلكها.

ومن هنا فإننا الآن نسعى من خلال بحثنا إلى إبراز هذه العلاقة وتحديدها وذلك عن طريق التّطرّق إلى عدّة مجالات وجدليات مختلفة والمتمثلة في:

أولا: المركز والهامش في المنظور الاقتصادي:

لقد برز مصطلح المركز والهامش للدلالة على التقدّم والتّخلّف، فالدّول التي تملك تكنولوجيا الإنتاج ورأس مال قوي تصنّف ضمن دول المركز أمّا الدول غير المنتجة أي المستهلكة تمثّل دول الهامش أو محيط هذا الاقتصاد، وقد استخدم الباحث "كيلسن" "*Kelsen*" الّذي يرى أنّ المركز هو القانون الأمثل لكلّ معاييره[1]

باعتبار أنّ القانون هو القوّة التي تنظّم الجميع والكلّ يحتكم ويلجأ إليه، فهو يرى أنّ المركز هو الاتجاه الصحيح وهو القانون المسيّر والمثالي، وقد استخدم كذلك الباحث "راؤول بريبش" مصطلح المركز والهامش في طرحه لقضيّة الاقتصاد العالمي الحرّ؛ حيث قسّمها

[1]- محمد عاطف الغيث، قاموس علم الاجتماع، د ط، دار المعرفة الجامعية، ص 56.

إلى قسمين: دول المركز أي الدّولة الصّناعيّة البالغة التّقدّم في أوروبا واليابان... وكذا دول المحيط أي دول العالم الثالث أو بالأحرى الدّول النامية[1].

ثانيا: المركز والهامش في المنظور السياسي:

يعتبر المركز بالحكم السياسي السّلطة الحاكمة أي القوّة المسيطرة بينما الهامش الطبقة المحكومة فتحقّق اندماجا واحدا تمثّل القوة السياسية للدولة؛ حيث يرى "ابن خلدون" في مقدّمته أنّ الرياسة تكون بالغلب وجب أن تكون عصبيّة ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع القلب بها وتتمّ الرياسة لأهلها[2].

فالسلطة والحكم دائما تكون للأقوى والأقدر بها.

ثالثا: المركز والهامش في المنظور الاجتماعي:

تمثّل ثنائية المركز والهامش من بين المواضيع المطروحة حاليا على المستوى الفكري؛ بحيث كان المركز يفرض سيطرته على الهامش حتى لا يخرج من دائرته بحيث له كامل القدرة والسّلطة ليتحكّم في كفة الميزان التي يرجعها لصالحه وفي كلّ الأحوال.

وجدت ثنائية المركز والهامش عبر التاريخ في كلّ المجتمعات وكلّ السّياقات منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فبذلك كان الصّراع قائما بينهما ولكن الغلبة كانت دائما للمركز وخاصة أنّ المركزية تمثّل الرّجل أمّا الهامشيّة للمرأة لذلك كان الرّجل دائما المسيطر الوحيد ولعلّ هذه الأخيرة وجدت نفسها في مجتمع ذكور يفرض هيمنته في غياب مظهر المساواة: «فظلّ الرّجل هو المتكلم باسمها ويعبّر عن حقيقتها وكينونتها، فالمرأة مستعمرة الرّجل»[3].

---

[1]– ميشال مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1999، ص 99.

[2]– عبد الرحمان بن محمد خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، مصر، 2010، ص 147.

[3]– جورج طرابيشي، أنثى ضد أنوثة، دراسة في أدب نوال السعداوي، دار الطليعة، بيروت، ط 2، 1995، ص 09.

بالإضافة إلى كلّ هذا نجد كذلك الدين أو المؤسسة الدّينية الّتي لجأت إلى طرح بعض المسائل بخصوص التّعدد الزّوجي أو تعدّد الزوجات، ومن هذا المنطلق ترى أنّ الرّجل كائن ناقص خلقت من ضلع الرّجل إذا يجب عليها أن تكون تابعة له دائما، وهذا ما يؤدي إلى توسع الهوة بينهما (بين الجنسين).

وقد ظلّ هذا التّفكير سائدا أيضا وأثناء الاستعمار لا ندري كيف ذلك؟ فقد ساهم المستعمر في صنعه؛ حيث عزّز مكانة الرّجل وهمّش المرأة كونها صامتة خاضعة لهم بسبب عجزها وعدم قدرتها على حماية نفسها وأهلها، فكانت دائما تتعرّض لشتى أنواع العذاب والإهانة والظّلم بالرّغم من هذا ظلّت صامتة متحملة إلاّ أنهم مازالوا يرونها ضعيفة مهمّشة وليس لها الحق في الحياة حتى أو الاستمتاع بها مثلها مثل الرّجل.

رابعا: المركز والهامش في المنظور الأدبي:

إنّ ثنائية المركز والهامش وعلاقتهما الضّدية التنافريّة التي تقتضي الاعتراف بالأوّل وإلغاء الثاني، قد شملت ميدان الأدب أيضا فقد خضع الأدب إلى معايير تقسيمية تراوحت بين اللّغة وطريقة البناء وبين المحتوى والمتلقّي، فوضعت المؤسسة الرّسميّة شروطا للأدب والأديب ليحقّق نوعيّة كتابيّة عالية، «وبذلك اعتبر الأدب النّخبة باعتباره الأدب الّذي يخضع لقوانين صارمة تقوم على اللغة الفصحى البليغة والراقية واعتبرت بالمقابل ما سوى ذلك أدبا دونيا»[1].

من خلال هذا يتبيّن لنا أنّ أدب المركز هو الأدب المعترف به وهو أدب الطبقة الراقية الّذي تمثله النخبة المجمعيّة المثقّفة والبرجوازية السلطوية، وفي الكفة الأخرى المقابلة نجد أدب الطبقات المهمّشة أو ما يسمى بأدب العامّة «فأمّا المركز يحظى بالرّعاية السّامية فتقام له المهرجانات والأماسي ويدرّج في المناهج التّربوية وإجمالا هو الأدب الرّسمي المتداول أما الهامش فيطلق على كلّ أدب منبوذ متجاوز لسلطة المركز»[2].

[1]– حنان بن قيراط، المركز والهامش في الأدب، جامعة 8 ماي 1945، قالمة الجزائر، ص 06.

[2]– سليمة خليل: هنة مشقوق، الأدب النسوي بين المركزية والتهميش، الملتقى الدّولي الأول في المصطلح النقدي، جامعة قصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، مارس، 2011، ص 261.

إذن فالمركز هو الّذي يتحكّم بالإنتاج الفني الّذي يمثّل النموذج الأعلى أمّا الهامش الأدبي فهو الأدب الاستهلاكي أو الأدب الّذي يتجاوز المألوف غير المعترف بالقوانين الفنية المعتادة.

«وبذلك قد أصبح كلّ خروج عن المألوف يتحدّى سلطة الكتابة أدبا هامشيا يسعى إلى مواجهة السّلطة التي تفرض قيودها على الكتابة ليكون بذلك أدب الهامش هو المتمرّد على المنظومة الرّسميّة أو الثّائر على نمط الكتابة التّقليدية والتي تشخّص مختلف دور النّشر»[1]. ومن أشكال الأدب الهامشي نجد الأدب الشّعبي والفلكلوري لأنه في صراع ومواجهة مع الأدب المركزي المكتوب والمدوّل إلى جانب الشّعر الحداثي المتمثّل في الشّعر الحرّ، الّذي يعتبر أدبا هامشيّا لتخلّصه من قوانين الشّعر التّقليدي بما فيه نظام الشّطرين.

كما نجد الأدب النّسوي الّذي يعدّ هامشيّا مقارنة مع الأدب الذّكوري الّذي عمل على إقصاء المرأة من المجال الإبداعي الأدبي.

المطلب الثاني: جدليّة المركز والهامش:

تظهر لنا جدليّة المركز والهامش في الأدب من خلال تحديد المناطق التي تتحكّم في الإنتاج الأدبي، فالمناطق الّتي تساهم في تطوير الإنتاج من حيث الشّكل والمضمون تمثّل المركز أمّا المناطق التي تقلد هذا الإنتاج الثّقافي تمثّل الهامش.

بالإضافة إلى أنّ المركز يتميّز بقدرته على الإنتاج الفني والأدبي، فيقوم بإنتاج النّموذج الأعلى بينما يقف الهامش على الحافة يقلّد نماذج المركز، وبذلك نجد أنّ تقليد الهامش للمركز سببه عجز الهامش على مجاراة المركز في عملية الإنتاج؛ بحيث حافظت دول المركز على مركزيتها منذ القرن السابع عشر وفي الرّبع الثالث من القرن العشرين على الأقلّ وجمعت المركزية باستمرار أهم المؤسسات في باريس، صحافة متخصصة، المدارس، مكتبات عامة، أكاديميات، لجان أدبيّة[2].

[1]– حنان بن قيراط، المرجع السابق، ص 07.

[2]– بول آرون وآخرون، معجم المصطلحات الأدبية، تر: د محمد حمود، ت ن، 2012، ص 1028.

المطلب الثالث: طبيعة العلاقة بين المركز والهامش:

نظرا للمفاهيم الّتي تطرّقت إليه شتى الدّراسات حول ثنائيّة المركز والهامش، فإننا نجد أنّها تكرّس الأوّل وتهمّش وتلغي الثّاني؛ بحيث يتشكّل مفهوميها بحسب النّماذج التي وضعت لكليهما من ميدان لآخر وهي نماذج قابلة لتخريج قاعدة العلاقة بين الطّرفين أحدهما مركز والثاني هامش[1].

وتتوالد هذه الثّنائيّة ضمن مجموعة من ثنائيّات أخرى يدرجها أصحابها ضمن تصوّرات أخرى تحكمها علاقات جدليّة وتألفية في نفس الوقت، فهذا التّوسع المفهومي قد يقودنا إلى مختلف التّصوّرات التي مصدرها في الغالب فكر وتصوّر مركزي يختلف لذاته الأوليّة، ممّا يجعله يتعدّى بأوهام فوقيّة ونقاء وسيادة.

فالعلاقة إذن بين المركز وتقلّباته والهامش وتنويعاته بالإضافة إلى تمظهراتها ضمن ثنائيّات متنافسة ومتصادمة مثل غنيّ، فقير، أو شرق غرب، ونحوهما من الثّنائيات المتعالقة إنّما تعود إلى الإدراك القائمة على المتخيّل، فالعلاقة إذن في الغالب خياليّة أو توهميّة والوهم أشدّ وطنا من الحقيقة لما له من سلطة في التّحكّم في الأفعال.

والأصل في العلاقة بين المركز والهامش هو الصراع والتنافس، لذلك كانت علاقة التكامل بينهما نادرة وقليلة، فالتكامل يكون بناء على حاجة كل طرف للآخر، ويمكن أن يتجلى لنا في نقاط مختلفة نذكر منها:

1-المتن/ الحاشية:

تطلق كلمة حواش على كل ما لا يعتبر جزء أساسيا في المتن الأساسي في الموضوع، ونعرف بأنها التعليقات أو بسط فكره في المتن أو ترجمة لعلم من الأعلام أو تعريف لمكان... وقد تكون اقتباسا طويلا لتوثيق رأي أو للتدليل على قضية، وقد عرفه اللغويين

[1]- جمال مجناح ومشقوق هدبيّة، جدل المفاهيم في موضوعة الهامش والمهمّشين، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، ص 05.

بقولهم أن الحاشية "هي جانب الثوب وأهل الرجل وناحيته وظله، حاشى منهم فلانا، استثناه منهم"[1].

وبذلك///// بأن المتن يحيلنا للمركز والحاشية إلى الهامش، وبذلك نجد الكتب الحديثة وبالأخص الرواية الجديدة جعلت من المتن والهامش متكاملان، إذ لا يمكن فهم المتن إلا بالعودة للهامش كونه ضرورة لا مناص منها فهو تكملة لها في المتن.

2-الأدب الذكوري/ الأدب النسوي:

نرى بأن ثنائية المركز والهامش تجمع بين شيئين تكونت بينهما علاقة ضدية تنافريه شبيهة بالصراع الأزلي بين الذات والآخر، فنجد أن المركز هو النموذج الأمثل والمكتمل الذي يتحدى به لهذا، فهو يحظى بالرعاية السامية مقام له المهرجانات والأماسي ويدرج في المناهج التربوية وإجمالا هو الأدب المتداول، أما الهامش فيطلق عليه أنه أدب منبوذ متمرد ومتجاوز لسلطة المركز. ومن هذا المنظور أدخل الأدب النسوي خانة أدب الهامش كجملة من الاعتبارات كون أن الأدب النسوي يشير إلى آخر رجالي والذي يشير بدوره إلى وجود خصوصية واختلاف في طرق التفكير، وبالتالي في الكتابة والطرح، ومن هنا تعددت مختلف الآراء بخصوص هذا الأدب بين مؤيد ومعارض.

وصاغت هذه التساؤلات وغيرها منطلقا لهذه الحركات التحررية النسوية وشقت طريقا خاصا بها، وقد كان قمع المرأة بمختلف أشكاله عاملا أساسيا ومحفزا في تحريك أناملها وولوجها عالم الكتابة كوسيلة نضالية متجاوزة فكرة أو الكتابة فعل ذكوري، فحينما كتبت المرأة اعتبر ذلك الفعل شاذا وذلك لتمسك المجتمع العربي بالعادات والتقاليد والتباين الاجتماعي بينها وبين الآخر (الذكر) لتقضي بذلك على أحلام المرأة المبدعة، غير "أنه لا يجب على العقول التي تنفست شتى الحقول وتحللت من القيود لأسباب اجتماعية موروثة أن

[1]-الإمام محمد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزأبادي الشيرازي الشافعي، القاموس المحيط، ج4، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص44.

توسم لنفسها الحق والحكم على النص النسوي بالإعدام لذرائع كأن يكون رديء فكره خاطئ أو ملوث وأحيانا يصل النص لتلبية فتاوى، كأن يكون النص خارجا عن النص، نص حرام"[1].

[1]- فيروز شحور، الكتابة النسوية بين الحلم والاضطهاد، الواقع، على الموقع: https://www.blog-amin.org تاريخ الدخول: 2022/01/15 على الساعة: 11:30.

المبحث الثاني: الرواية النسوية وتواتر صورة المرأة بين المركز والهامش.

المطلب الأول: النسوية والكتابة الإبداعيّة.

1-تعريف النسوية:

إنّ مصطلح النسويّة في المصطلح العربي هو المقابل للمصطلح الإنجليزي féminisme ؛ حيث أنه يشير إلى «الفكر الّذي يعتقد أنّ مكانة المرأة أدنى من التي يتمتّع بها الرّجل في المجتمعات التي تضع كلا الجانبين ضمن تصفيات اقتصادية أو ثقافية مختلفة»[1].

أي أنّ النّسوية حركة ثقافية تسعى المرأة من خلالها اكتساب المساواة في مجتمع يسيطر عليه الجنس الآخر المتمثّل في الرّجل، فهو أدب يسعى من خلاله إلى إبراز مكانتها وتحاول فرض نفسها لإلغاء التهميش الّذي يمارسه عليها، فيمكن اعتبار النسوية نضال هدفه إرجاع المكانة المسلوبة للمرأة وتحقيق المساواة، فهي تعامل بعدم مساواة ولا تحصل على حقوقها في مجتمعات تسيطر عليها رؤية الرّجل واهتماماته لا لشيء سوى لأنها امرأة؛ فالرجل يتّسم بالقوة والمرأة بضعف ظاهر، وأيضا الرّجل بالعقلانية والمرأة بالعاطفية، وكذلك الرّجل بالفعل والمرأة بردّ الفعل.

تعدّ النسوية من أبرز الحركات إثارة للجدل في القرن العشرين كون تأثيرها يظهر في كلّ جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في مختلف أنحاء العالم، ومن هنا يمكن لنا القول بأنّ النسوية حركة تعمل على تغيير الأوضاع لتحقيق المساواة الغائبة.

تؤكد النسوية على إمكانية تغيير المرأة للنظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي عبر العمل الجماعي، وبذلك فهي تسعى على تحسين وضع المرأة في المجتمع، فالنسوية «هي كلّ جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعو واستجواب أو نقد أو تعديل

[1]- علي نصوح مواس، النسوية في النقد الأدبي، محاضرة قدمت في الجامعة الأردنية، بتاريخ 2010/04/19، ص 01.

للنظام السائد في البنيات الاجتماعية، الّذي يجعل الرّجل هو المركّز والمرأة جنبا ثانيا أو آخر في مرتبة أدنى»[1].

2-النسوية عند الغرب:

كان أوّل ظهور لمصطلح النسوية في الفكر الغربي عام 1825، أمّا اعتماد مصطلح النسوية في حقول العلوم الإنسانية فقد بدأ عام 1910، فكما ترى "ماري إيجلتون" في تعريفها للأدب النسوي على أنه:

«الأدب الّذي يسعى للكشف عن الجانب الذاتي الخاص في المرأة بعيدا عن تلك الجوانب التي اهتمّ بها الأدب لعصور طويلة»[2].

مما يعني أنها تحصر مصطلح الكتابة النسوية في الأدب النسوي الّذي يشمل بالقضايا النسوية ويعالج اهتماماتها، وهو الّذي يعبر بصدق عن تجربة الأنثى في معزل عن المفاهيم التقليدية، فهو ترتبط بالجانب الذاتي الّذي يتعلق باهتماماتها بنفسها.

إنّ الحديث عن النسوية في الفكر الغربي قد انطلق من خلفية معرفية قائمة على فكرة النظام الأبوي؛ بحيث استخدمت النسوية هذا النظام بوصف سبب قمع النساء قاصدة بأنه يخضع الأنثى للذكر ويعاملها على أنها أدنى منه؛ بحيث أعلنت النزعة الأنثوية المتطرفة للحرب على الرجال وعلى الدين وعلى التاريخ الّذي وصفته بأنه تاريخ ذكوري يحكي قصة الرجل، ورفضت هذه الحركة أن تقوم المرأة بدورها الفطري في تربية الأطفال ورعاية الأسرة، وعملت جاهدة على إخراج المرأة لسوق العمل من أجل الاستقلال الاقتصادي لتخرج عن رعاية الرجل.

كما أنها تحتقر كثيرا الدور الّذي تقوم به المرأة في نشأة الأجيال بترتيبها لأولادها كونه عمل غير مدفوع الأجر، «والحركة الأنثوية عندما تتحدث عن تمكين المرأة، فإنها لا تعني

[1]- المرجع السابق، ص 63.

[2]- إبراهيم خليل، في الرواية النسوية العربية، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2007، ص 03.

إصلاح وضع المرأة، وإنما تعني افتعال الصراع بين الرجل والمرأة، بإلغاء قوامة الرجل في الأسرة»[1].

3-النسوية عند العرب:

لقد دخل مصطلح الأدب النسوي حيّز الثّقافة العربية في ستينات القرن العشرين، وذلك في عصر النّهضة العربيّة التي حملت معها بشائر الموجة النّسوية بقيادة رجال نهضويّين كان لهم دورا فعالا ورئيسيّا بالنهوض بالأدب النسوي وإشراك المرأة في مختلف مجالات الحياة والحثّ على إصلاح أحوال المرأة وانتشالها من الأوضاع المتردية؛ حيث نجد "محمد عبده" قد تطرّق في كتاباته "إلى مسألة النسوية ودعا إلى اعتماد العقل منهجا للتفسير".

إلى جانب "رفاعة الطهطاوي" الذي كتب تلخيص الإبريز في محاسن بارسي"، الّذي أبدى من خلاله إعجابه بمدى تقدّم المرأة الفرنسيّة وتحرّرها الشّيء الّذي جعله يبدي رغبته في تحرير المرأة العربيّة والمناداة بتعليمها وذلك بإصداره لكتابه " المرشد الأمين للبنات والبنين".

كما نجد "أحمد فارس الشّدياق" الّذي أصدر كتابه السّاق على السّاق سنة 1852 الّذي «أباح للمرأة أن تتلقى بعض العلوم التي ترفع من مستواها الفكري بحيث تمكّنها من محادثة الرّجل والتعامل معه»[2].

بالإضافة إلى "محمد أمين" الّذي طرح أوّل كتابين تخصّصا في قضايا المرأة وتكلما عنها بشكل صريح وجريء، وهما تحرير المرأة في 1899 م «الّذي ربط فيه قضيّة المرأة بالأوضاع الاجتماعية والنظام السّياسي، فالوضع السياسي ينعكس على حياة الأسرة وهي

[1]- عبد المجيد البيانوني، إنها الأنثى- رؤى نقدية حول دعوى التمييز ضد المرأة، ط 1، 1426، ص 46.

[2]- مية الرحبي، النسوية مفاهيم وقضايا، ط 1، 2014، الرحبة للنشر والتوزيع، ص 49.

بالتالي تؤثّر على الآداب الاجتماعية والقيم الأخلاقيّة والحريّة السّياسيّة للرجل ترتبط بالحريّة الذّاتيّة للمرأة»[1].

أمّا الكتاب الثّاني فقد جاء تحت عنوان "المرأة الجديدة" الّذي دعى فيه إلى الرّفع من قيمة المرأة عن طريق تقليمها لكي يناسب وضعها وضع الرّجل الّذي أصبح أكثر انفتاحا وعلما ووعيا.

وفي الكتابات النّسوية فنجد أدبيات قد نشرت مقالات في الصّحف والجرائد نذكر منها جريدة "المقتطف" و"لسان الحال" والخبّاز"؛ بحيث نجد "مريانا مراش" أوّل أدبيّة عربيّة «كتبت في هذه الصّحف مقالات تمرّدت فيها على واقع المرأة، وثارت على أساليب الكتابة التّقليديّة ودعت المرأة لمشاركة الرّجل جميع مجالات العلوم والفنون وقومت تقاليد بنات عصرها.... كما أنشأت أوّل صالون أدبي في عصر النّهضة الحديثة»[2].

وقد ظهرت أيضا كتابات نسويّة على أيدي كاتبات عربيّات عديدات «كالأبحاث المتعلّقة بالعنق ضدّ المرأة أو تمكين المرأة»[3]، ومن الأسماء البارزة في هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال: منى فياض، رفيق صيداوي وحنان نجمة وغيرهنّ.

لقد ساهمت هذه الحركات النّسوية بخلق فرص متساوية للمرأة والرّجل بالدّعوة إلى إشراك المرأة في شتى المجالات والدّعوة إلى الاستفادة من تجاربها واستثمارها مع تجربة للرّجل، لفتح آفاق جديدة في مجال العلم والمعرفة ومن أجل تغيير العالم نحو عالم أكثر عدلا بتقبّل كلّ طرف للآخر من أجل غد أفضل.

[1]– مية الرحبي، مرجع سابق، ص 50.

[2]– نفس المرجع، ص 52.

[3]– نفس المرجع، ص 65.

4-النسوية في الجزائر:

لقد تأثّرت الكتابة النّسويّة في البزوغ للأوساط الجزائريّة مقارنة مع الثّقافة الغربية شأنها شأن دول المغرب العربي، الّتي كانت تعاني من نفس العراقيل والعوائق الّتي كبلتها ومنعتها من الظّهور إلاّ في وقت متأخر.

من العوامل الأكثر بروزا نجد السّياسة الاستعماريّة الفرنسية وما حملته من دوافع التي ركّزت على فصل الشّعب عن مقوّماته، ومخلّفات الحرب وتأثيرها على الصّعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي عامّة وعلى الصعيد الأدبي خاصّة، وذلك بسعيها للقضاء على اللّغة العربيّة بعدم السّماح بتعليمها، وفرض اللغة الفرنسيّة كلغة أساسيّة في مدارسها بحيث كان التّعليم يقتصر فقط على الأقليّة، لهذا نجد أغلب الكتابات النّسوية قد كتبت بلغة الآخر يقول "عبد الله العروبي":

«في بداية القرن لم يعد يمثّل الثّقافة الإسلامية التّقليدية سوى أفراد قلّة انعزلوا عما يجري حولهم... وأصبح المجال شبه فارغ من أيّ نشاط ثقافي جزائري إلاّ أن ظهرت نخبة مثقّفة جديدة تخرّجت من المدارس الفرنسيّة عرفت بالمتنورية في أدبيّات الاستعمار»[1].

إنّ النّهضة الأدبيّة النّسويّة في الجزائر كانت مرتبطة بالحركات التّحرّريّة بقيادة علماء وأدباء ومفكّرين ك"زينب الأعوج" و"واسيني الأعرج" «ولمّا كانت مشاركة المرأة المسلمة واضحة في تلك الحركات التّحرّرية كان من الطّبيعي أن نلتمس دورا رياديا للمرأة في مجال الفكر والأدب»[2].

كما نلتمس أيضا تأثير العادات والتّقاليد في عدم ظهور كتابات نسويّة في وقت متقدّم جراء الأعراف التي كانت سائدة آنذاك؛ بحيث كانت الكتابة مقتصرة على الرّجل فقط،

[1]- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب العربي، ص 610.

[2]- مجموعة من الأدباء والكتّاب، أدب المرأة- دراسات نقديّة، الرياض، ط 1، العبيكان للنشر، 1428هـ/ 2007 م، ص 34.

بالإضافة إلى السّلطة التي فرضها المجتمع الذكوري على المرأة التي قيّمتها ومنعتها من المشاركة في الإبداع.

«ففي ظلّ العنف والبحث عن الذّات الإنسانيّة والمسلوبة، راحت المرأة تشقّ طريقها مقتحمة بذلك عالم الكتابة الروائية لتثبت نفسها، إيمانا منها أنّ الآخر لن يستطيع عكس مشاعرها الأنثوية والتعبير عنها بأقلامه، لا لشيء إلاّ لكونها مخلوقا قاصرا رغم الثّقافة والتعليم والمسؤولية... فصفة الأنوثة تشكّل قيدا للمرأة»[1]. وبهذا قد سعت المرأة للتّخلّص من هذه القيود والسلطات؛ السلطة الاستعماريّة وسلطة الآخر الذّكورية متجهة بذلك للرواية المتميّزة بانكبابها على الواقع المعاش وكونها أكثر اتّساعا من الأجناس الأدبيّة الأخرى، معتبرة إيّاها كبوابة للبوح عما يضيق عليها الخناق محاولة بذلك تغيير الواقع وتحسينه بالإشارة إلى القضايا التي تؤرق المرأة في المجتمع ومحاولة معالجتها من خلال إبداء وجهات نظر «فالنساء يحللن وينتقدن الواقع الاجتماعي والسياسي ويستحضرن رؤى جديدة تضع الأسس من أجل أعناق كلّ من الرّجل والمرأة»[2]. فظهرت في الجزائر أوّل رواية نسويّة باللغة العربية سنة 1979 م «من يوميات مدرسة حرّة لزهور ونيسي»[3] وجاء بعدها روايات لأدبيات جزائريات أمثال فضيلة "الفاروق" برواية "نساء الخجل" بالإضافة إلى "ياسمينة صالح" و"آسيا جبار" إلى جانب روايات "أحلام مستغانمي" الّتي شهدت انتشارا كبيرا وإقبالا واسعا في الأوساط الجزائرية وفي العربية منها.

[1]– مشقوق هنية، المرأة بين سيطرة الآخر وإثبات الذات "اكتشاف الشهوة أنموذجا"، ص 01.

[2]– المرجع نفسه، ص 04.

[3]– يمينة عجناك، الكتابة النسائية في الجزائر وإشكاليتها، ص 32. نقلا عن دوغمان أحمد، الصوت النسائي في الأدب الجزائري، ص 09.

5-خصائص الكتابة النسوية:

يختلف أدب المرأة عن الأدب الّذي ينتجه الرجل، وذلك راجع إلى الاختلاف الجنسي فهو يختلف بيولوجيا ونفسيا عن الرجل؛ وبالتالي فإنّ أدبها يخضع لهذه الاختلافات، ما يجعله يحمل ملامح خاصة تظهر لنا أثناء تفحصنا لصفحات روايات نسائية، فالمرأة تخضع لتجارب حياتية مختلفة عن تلك التي يمرّ بها الرجل باعتبارها أنثى فهي امرأة شابة وأمّ فزوجة، فهي التي تحمل وهي التي تضع ف«ما دامت المرأة جرّبت وحدها هذه الخبرات الحياتية الأنثوية الخاصة فإنها وحدها قادرة على الحديث عن حياة المرأة، فضلا عن ذلك فإنّ خبرة المرأة تتضمن حياة إدراكية وانفعالية مختلفة، فالنساء لا يرين الأشياء كما يراها الرجل، لها أفكار مختلفة ومشاعر مغايرة فيما هو مهمّ وليس بمهم»[1]، فوحدها المرأة تستطيع أن تكتب عن المرأة.

كما نجد الكتابات النسوية تتميّز بخصائص أخرى هي كالآتي:

- النساء يكتبن بطريقة أكثر عفوية وحدسية.
- إنّ الكتابة الأنثوية تعكس الطبيعة الداخلية للمرأة.

وفي كثير من الأحيان نجد الرواية النسائية بوّابة لممارسة الاعتراف والبوح، فهي بذلك تنتج كتابة مختلفة.

أمّا على المستوى اللغوي فيتّضح لنا من خلال العديد من الروايات النسوية أنّ المرأة والرجل يستعملان نفس اللغة، وهي اللغة التعبيرية لكن الاختلاف يكمن في كيفية استخدامها.

[1]- رومان سلدن، النظرية النسوية النفسانية في الأدب، تر: سعيد الغانمي، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، المجلد 6، جيزران، 1944، ص 104.

المطلب الثاني: تصوير الدين للمرأة.

1- المنظور اليهو مسيحي (المرأة الخطيئة):

إنّ موقف الدّيانة اليهودية والمسيحية من المرأة مغاير تماما ومختلف عن الديانة الإسلامية، فبمجرّد إطّلاعنا على التّوراة والإنجيل المحرّفين يتّضح لنا أنّهما منبع إساءة للمرأة، كونهما قد استغلا كلّ الطّرق لاحتقارها وإدانتها والعمل على إهانتها مقارنة مع الآخر/ الرّجل الّذي وصف على أنّه السّيّد كما علت من شأنه، أمّا هي فقد وصفتها بكلّ سلبية واعتبرتها بأنّها رمز للخطيئة ومخلوق غير صالح في الحياة والمجتمع.

بحيث جاء في الموسوعة اليهوديّة عن وظيفة المرأة أنّها «خلقت لخدمة الرّجل وكمساعد مناسب له، فقد تكوّنت من أحد الأضلاع للرجل الأول "آدم" ويرتبط جوهرة المرأة كمخلوق إنساني بوظيفتها كرفيقة للذّكر... وأنّ الزّوجة في مرتبة أدنى من الزّوج الّذي يسيطر عليها، الزّوج يستطيع أن يطلق زوجته ولكنّها لا تستطيع ذلك»[1].

ووصفها آباء الكنيسة على أنّها: «إبريق مليء بالقاذورات وفمها مليء بالدّمّ»[2].

وعند النّظر للعقيدة اليهودية والمسيحية نجد أنّهما اعتبرتا المرأة هي المسؤولة الوحيدة اتّجاه ارتكاب الخطيئة الأولى، وهي السّبب في شقاء الجنس البشري وطرده من الجنّة لأنّها سمعت بكلام الحيّة ووسوست ل"آدم" وأغرته بالأكل من تفاحة الشّجرة المحرّمة «فقال آدم إنّها المرأة التي جعلتها معي أعطتني من الشّجرة فأكلت»[3].

وبذلك قد قرّرت هذه الدّيانات عقاب المرأة جراء ارتكابها للمعصيّة الأولى كما اعتبرت الحمل وآلامه عقابا لها على هذا العصيان.

---

[1]- زكي السيد أبو غصة، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 1، 1424/ 2003، ص 23.

[2]- نفس المرجع، ص 24.

[3]- جمانة طه، المرأة في منظور الدين والواقع، مرجع سابق، ص 50.

«ثمّ قال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك»[1].

كما تعتبر اليهودية فترة الحيض والنفاس نجاسة تستحق التطهر وتعتبر المرأة في هذه الفترة دنسة.

«ومن أجل ترسيخ هذه الأفكار المضادة للمرأة عمدت محاكم التّفتيش الكاثوليكيّة إلى معاقبة القابلة الّتي تساعد الحامل على الولادة وتخفيف آلامها، بالبحث عنها وتعذيبها وقتلها»[2].

وفي مجال عمل المرأة فالمسيحية تؤمن بأنّ الهدف الأساسي للمرأة هو العمل كزوجة أو كداعيّة معاونة لآباء الكنيسة ولا تؤمن بعملها خارج هذا النطاق.

«فلم يعد شأن المرأة في المسيحية كعاملة مساعدة للرّجل إلاّ في سبيل نشر الدّعوة والتّضحيّة من أجلها»[3].

كما رفضت تعليم المرأة للرجل وطالبتها بالطّاعة المطلقة وإلزام الصّمت.

«لست أسمح للمرأة أن تعلم ولا أن تتسلّط على الرّجل، بل عليها أن تلتزم السّكوت»[4].

أمّا في مسألة الميراث فبدراسة نظام الإرث في حياة اليهود نجد أنّ المرأة مهضومة الحقوق فالدّيانة اليهودية تنصّ على توريث الولد دون البنت، وذلك راجع إلى تأثّر اليهود بقانون الصّحراء الّذي ينصّ على «ألاّ يرث النساء ولا الأطفال وذلك لأنّ الّذي يرث هو من يحارب ويذود على الحوزة أي أنّ حقّ الملكية أو الميراث كان مقصورا على رجال العشيرة فقط»[5].

---

[1]– جمانة طه، المرأة في منظور الدين والواقع، مرجع سابق، ص25.

[2]– رياض القرشي، النسوية، قراءة في الخلفية المعرفي لخطاب المرأة في الغرب، دار حضر موت للدراسات والنشر، 2007، ص 35.

[3]– زكي علي السيد أبو غصة، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، مرجع سابق، ص 193.

[4]– نفس المرجع، ص 196.

[5]– نفس المرجع، ص 206.

وعلى هذا الأساس فإنّ البنت يحقّ لها أن ترث في حالة واحدة فقط، وهي إلزاميّة زواجها من أقارب أبيها من نفس العصب من أجل حقّها في الإرث.

كما لم تنصف الزّوجة أيضا في قضيّة الميراث؛ بحيث أنّ «الزّوج يستطيع أن يرث زوجته أما هي فلا تستطيع ذلك في أيّ حال من الأحوال»[1].

أمّا المسيحيّة فلم تضع أيّ قوانين فيما يخص مسألة الميراث «وإنّما وضعت مبادئ روحيّة في ظلّها يمكن حلّ المشاكل الماليّة وينطبق هذا على موضوع الميراث، بل كلّ واحد منهم يكون مستعدا أن يترك نصيبه لأيّ واحد من إخوته أو أخواته يرى أنه محتاج أكثر منه»[2].

من خلال كلّ هذا نلمح انعدام في المساواة بين الرّجل والمرأة في هاتين الديانتين، اللّتين اعتبرتا المرأة مخلوقا قاصرا ورمزا الخطيئة وبذلك فإنّها لا تستحقّ هذه المساواة واعتبرت الرّجل سيدا على المرأة وأنها ملكه ويجب أن تخضع له، على خلاف الإسلام الّذي منحها جميع الحقوق والحريّات وسعى إلى تحقيق كرامتها والعمل من أجل حفظها.

[1]– زكي علي السيد أبو غصة، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، مرجع سابق، ص 208.

[2]– نفس المرجع، ص 212.

2- المنظور الإسلامي:

لقد تعزّزت مكانة المرأة بظهور الإسلام، فأكسبها حقّها ورفع من شأنها بعدما كانت ذليلة مضطهدة، فقد دافع الإسلام عنها ودعا إلى المساواة بينها وبين الرّجل، والدّليل على ذلك قوله تعالى: «يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها».

كما سوّى الإسلام بين الرّجل والمرأة في العبادات والواجبات وحرّم وأد البنات التي كانت عادة راسخة ونهى عن ذلك من خلال قوله تعالى: «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى هذا القوم من سوء ما بشّر به أ يمكسه على هون أم يدسّه في التّراب ألا ساء ما يحكمون» سورة النحل.

من خلال هذا يبيّن لنا تعالى أنّ الأولاد هبة من الرّحمان لعبادة ولا فرق بين ذكر أو أنثى، وتحديد جنس المولود هو من أمور الله عزّ وجلّ فما لعباده سوى الرّضا وقبول نعمته وشكره عليها، فهو الّذي يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء ذكورا.

كما منح الإسلام للمرأة مكانتها المستحقة وحفظ لها كرامتها وصانها، وأشار إلى أهميّة وجودها في الحياة من أجل تحقيق التوازن الاجتماعي، هذا الدّين الّذي أقرّ للمرأة حقوقها التي استمدّها من مصادر التّشريع الإسلامي المتمثّلة في القرآن الكريم والحديث الصّحيح المروي عن سيّدنا محمد (ص)، فالسّور القرآنية لا تكاد تخلو من ذكر المرأة والأنثى في كثير من المواضع، كما علاّ الله من شأنها بجعله لها سورة في كتابه العزيز تسمى باسمها وهي سورة النّساء.

وقد سوّى الله تعالى بين المرأة والرّجل من حيث المنشأ وشرع القوانين التي تجعل كلّ منهما مكرّما في موقفه يقول تعالى: " يا أيها الناس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء"[1].

[1]- الآية 1، 2، 3، 4 من سورة النّساء.

فالحياة تقوم على الذّكر والأنثى كلّ منهما مكمّل للآخر، وكلّ منهما يحتاج للآخر من أجل استمراريّة الحياة وتحقيق التّكافؤ.

«والاختلاف بين الرّجل والمرأة هو اختلاف من حيث الشّكل والوظيفة لا من حيث المكانية والفعاليّة»[1]. فلكلّ منهما أدوار مختلفة تتماشى مع الطبيعة التي خلق عليها.

وقد شبّه تعالى قضيّة تكامل المرأة والرّجل كتكامل النّهار واللّيل يقول عزّ وجلّ في كتابه: "واللّيل إذا يغشى والنّهار إذا تجلّى وما خلق الذّكر والأنثى إنّ سعيكم لشتى"[2].

«لقد أراد الله أن يلفتنا إلى قضيّة التّكامل بين المرأة والرّجل كقضيّة تكامل الليل والنّهار... مختلفان في الطّبيعة فالنهار يملأه الضّوء... وهو وقت السّعي وراء الرّزق والحركة، واللّيل تملأه الظّلمة وهو وقت السّكوت والراحة والنّوم»[3]. من خلال ذلك يظهر لنا الشّبه بين المرأة والرّجل مع الليل والنّهار في أنهما يختلفان في مهمّة طبيعتهما في الكون ولكنّهما يكملان بعضهما.

كما أقرّ الإسلام حقّ المرأة في الميراث والتّصرّف بحر مالها، بالرغم من أنّنا «نجد المرأة في الإسلام محفوظة ماليّا، لأنه من واجب الرّجل تحمّل مسؤوليتها الماليّة، لكن إذا عملت وكان العمل تحت شرع الله، إذا مهما كان ما تجنيه فليس لها أن تنفقه على العائلة... لكن إذا أرادت أن تشارك وتساعد في الجوانب الماليّة فيمكنها ذلك، لا يمكن لأحد أن يجبرها»[4].

والدّليل على تمتّع المرأة بحقّ الميراث في النّص القرآني قوله تعالى: "للرّجال نصيب ممّا ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ممّا قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا".

---

[1]– جمانة طه، المرأة في منظور الدين والواقع، مرجع سابق، ص 85.

[2]– الآية 1، 2، 3، 4 من سورة اللّيل.

[3]– محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، مكتبة الشعراوي الإسلامية، ص 15.

[4]– ذاكر نائيك، حقوق المرأة في الإسلام محفوظة أم مهدورة؟ ص 12.

كما نزّه القرآن سمعة المرأة من التقولات والافتراء ونهى عن المساس بشرفها وعفتها سواء بالقول أو الفعل يقول تعالى: "والّذين يرمون المحصنات ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون النور".

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ «الإسلام حين جاء رفع من مكانة المرأة بالنسبة للأحوال التي كانت سائدة في العالم حينذاك وأنه أعطاها حريتها وكفّل لها شخصيّتها المستقلّة، وكفّل لها كرامتها، وأنّ الرّجل والمرأة في الحياة يكمل كلّ منهما للآخر وأنهما ليسا متعاندين، بل متساندين، وإنّ اختلال هذا التساند هو الّذي يوجد الشّقاء في المجتمع ويحمل المرأة فوق ما تطيق»[1].

وإنّ من الناس من اتخذ موضوع المرأة كبوابة للهجوم على الإسلام كون هذا الموضوع هشّا، فلا يمكن لنا أن نغفل الدّور السلبي يمارسه بعض المتحدّثين باسم الدين الّذي يبخل في عقول شريحة من المجتمع مفاهيم مغلوطة نتيجة تفسيراتهم السّاذجة والخاطئة، الّذين أباحوا لأنفسهم تفسير أحكام من مواقفهم الخاطئة بعيدا عن الدّين ومنهجه، فها هنا مجموعة من النّاس الّذين يحملون سمة الذّكوريّة تقذف النساء وتتهمهنّ بأنّهن ناقصات عقل ودين، نتيجة لتفسيرهم الخاطئ لقول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: «... ما رأيت من ناقصات عقل أذهب للب الرّجل الحازم من إحداكنّ، قلت: وما ناقصات عقل ودين يا رسول الله؟ قال: أ ليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرّجل قلت بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصم، قلت: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها»[2].

من خلال هذا القول يبيّن لنا النّبيّ (ص) ما قصده بنقصان عقل المرأة ودينها، مما لا يترك مجالا للتّأويلات الباطلة والخاطئة، فإنّ المراد من ذلك أنّ المرأة قد تغلبها عاطفتها وذلك ممّا تحمل من رأفة في قلبها، فإذا غلبت العاطفة يتعطل العقل وكثر النّسيان، كما أنّ

[1]– محمد متوالي الشعراوي، مرجع سابق، ص 26.

[2]– حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم، واللفظ البخاري.

المرأة يتغيّر مزاجها بأقلّ الأسباب وعند تغيّر المزاج ينقص عمل العقل أيضا، أمّا نقصان دينها فيعود إلى حيض المرأة فإذا حاضت لم تصل ولم تصم.

فإنّ الّذين يعتمدون هذا الحديث ويفسّرونه تفسيرا خاطئا يقلّلون من قيمة المرأة وينقصون منها، وممّا يستغرب أنّ الّذين يكذّبون هذا الحديث فإنّهم يعتمدون حديثا آخر ينسبونه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول فيه: «خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء، أي عائشة أمّ المؤمنين، فكيف إذن يتدبّرون أمور دينهم عن طريق السّيّدة عائشة كونها امرأة والمرأة ناقصة عقل ودين، وليس أدل على الأهليّة العقليّة للمرأة من أنّ بعض النساء قد روين الحديث عن الرّسول وأفتين في أمور الدّين والعفّة فمن يروي الحديث ويفتي في أمور المسلمين لا يمكن أن يكون إلاّ كامل دين وعقل».

ومن خلال كلّ ما مررنا به نستنتج بأنّ الإسلام دين حق وعدل ومساواة، فقد أعطى هذا الدّين للمرأة كلّ ذي حق حقّه، فقد عزّز مكانة المرأة وعمل على حمايتها وحماية حقوقها من الضّياع، وشهادات النساء أنفسهنّ تدلّ أنّ ديانة الإسلام قد أكرمتها وأكسبتها حقّها، غير أنّ الثّقافة والتاريخ سلباها هذا الحق.

المطلب الثالث: التصوير الثقافي للمرأة.

1- التّراث الشّعبي

نجد في التّراث المثلي الشعبي العربي أمثالا غير معدودة تنال من المرأة وتحتقرها؛ بحيث نجد الكثير من الأقوال التي تثبت ذلك، مثال: «مسمار بالبيت ولا مرا بالبيت»، و«البنت مثل المزبلة تكبر بسرعة»[1]. من خلال هذا يتبيّن لنا أنّ الأمثال تعتبر البنت حملا ثقيلا ويشار إليها كمخلوق غير مرغوب فيه وتشكّل عالة على الأسرة والمجتمع مثال: "ذلك صوت حية ولا صوت بنيّة" و"موت البنت سترة"[2]. إمّا أعطى المثل الشّعبي أفضليّة للذكر منذ لحظة الولادة «فالمثل يعكس التّمييز الحاصل في الأسرة لحاصل الذّكر الّذي تنتظره العائلة بأسرها والأمّ ترى فيه تحقيقا لوظيفتها وتثبيتا لوجودها مع زوجها وبين أهله، إذ كانت البنت تسبّب المتاعب لأمّها وقد تكون في بعض الأحيان سببا في طلاقها»[3]. فالولد هو الّذي يحافظ على سلالة أبيه ويحميها من الاندثار ولازال معظم النّاس إلى غاية اليوم يعتقدون أنّ الحياة لا تكتمل من غير وجود الابن الذّكر؛ بحيث ظاهرة تفضيل إنجاب الذّكور على الإناث لم تغب يوما عن مجتمعاتنا في كلّ زمن ومكان أمّا البنت فتعتبر مخلوقا لا قيمة له مهما بلغت المراتب العليا، فالمثل ينكر إسهامات المرأة ونجاحاتها وأهمية دورها في الأسرة للزوج والأولاد والحياة والمجتمع.

[1]- جمانة طه، المرأة في منظور الدين والواقع، دراسة مقارنة من منشورات الاتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 29.

[2]- نفس المرجع، ص 30.

[3]- نفس المرجع، نفس الصفحة.

2- التراث الثقافي

كما لحق التّشويه بصورة المرأة منذ العصور الأزليّة «فلقد جاءت المنحوتات القديمة في بلاد الرافدين مصوّرة المرأة على أنّها جسد جنسي تبرز فيه الأعضاء الجنسيّة كالثّديين والرّحم وعضو الأنوثة دون سائر الأعضاء»[1]. وهذه الصّورة قد تتالت وتواترت من حضارة لأخرى إلى أن أطلّت الحضارة المعاصرة لتزداد رسوخا مع التّقدّم والتّطوّر المعرفي والاجتماعي الّذي تشهده كلّ الثّقافات في جميع أنحاء العالم، لاسيما في مجال الفنون والأدب؛ بحيث «وجود المرأة في ميدان الأدب يحتلّ مساحة كبيرة فقصائد الشّعر العربي تنوء بوصف النّساء ولوحات الرّسّامين تعتمد على هذا الموضوع وكذا الأفلام والإشهار وأسواق المتعة»[2]. وهذا ما نراه اليوم على شاشاتنا التّلفزيونية وكذا مواقع التّواصل الاجتماعي التي أصبحت جزءا لا يتجزّأ من حياتنا اليوميّة، فتظهر لنا صورة المرأة على أنّها جسد وحسب خاصة في مجال السينما والدعاية التي تستخدم المرأة من أجل الإشهار للماركات والإعلانات التّجاريّة وفي الأفلام، فهي التي لا تمتلك كلّ الصفات لجذب المشتري المذكّر الّذي لا ير فيها سوى هذا الجسد الّذي تملكه، ومن هنا تظهر لنا: «الدّعاية بوصفها قوة ضاربة تتحطم في الإنتاج الثّقافي وتوجه مساره وضحاياه دائما هن النساء»[3]. أمّا في مجال السّينما والتّلفزيون، فعند تحليلنا للنّموذج الّذي تقدّمه المرأة في بلدان العالم الإسلامي العربي على سبيل المثال فإنّ بطلة الشّاشة تتميّز بمجموعة من الصّفات تتمثّل في: «لابدّ أن تكون بارعة الجمال فاتنة الملامح، مثيرة الحركات وأنّ الآباء ... وأن تكون حاقدة ومقهورة يرغمها العوز لارتكاب المعصية، كما تقي البطلة يومها في إعداد الزينة وفي النزهات وأخيرا إظهار التّمرّد والإباحيّة، بصورة تبدو وكأنها الحرية والمدنية»[4]. وهذا كلّه يتمّ في إطار جذب أكبر

[1]- عبد الله محمد الغذامي، المرأة واللغة، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي للنشر، ص 30.

[2]- مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الطبعة الثانية، 2009/01/17، ص 09.

[3]- عبد الله محمد الغذامي، مرجع سابق، ص 31.

[4]- مجموعة من الأدباء والكتّاب، أدب المرأة، دراسات نقديّة، ص 69.

عدد من المشاهدين، وبهذا قد تقلّص دور المرأة في المجتمع وتقلّصت نظرة الناس إليها وأصبحت مجرّد جسد «وتمّ استثمار هذا الجسد ثقافيّا، وجرى دفع المرأة لأن ترى نفسها على أنّها جسد مثير، وهات على الثّقافة الذّكوريّة أن تفكّ العقل وتعزله عن الجسد لتجعل العقل للرّجل وحده والجسد الخالص للأنثى»[1].

وبهذا قد تمّ محاصرة المرأة ثقافيّا بسبب الرّجل المأمور الّذي سلبها حقوقها وجرّدها من عقلها وقلّص من إمكانياتها، وبهذا قد تمّ تهميشها وإلقاء عقلها والتعامل معها كجسد لا كروح.

[1]– عبد الله محمد الغذامي، مرجع سابق، ص 34.

الفصل الثاني

دراسة تحليلية لرواية "بوابة الذكريات" لآسيا جبار

تمهيد:

إنّ رواية الكاتبة الجزائريّة "آسيا جبار" التي جاءت تحت عنوان "بوابة الذّكريات" قد تباينت فيها صورة المرأة الجزائريّة في الفترة الاستعمارية بين كونها تارة مركزا وتارة أخرى هامشا لنقل لوضعيّة المرأة في المجتمع الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي؛ بحيث تقوم بتصوير الواقع من خلال العمل الروائي الّذي يعتمد على عنصر السّرد، الّذي يسمح باقتراب من الواقع بكلّ ما يشمله من عناصر إضافة إلى الإنسان الّذي يعدّ محور الموضوعات

بحيث تحاول الرواية كجنس أدبي «أن تقدّم أو تبرز امتلاكا معرفيا وجماليّا للرّاهن الّذي تصدر فيه زمانا ومكانا، وامتلاك الراهن يعني تقديم الحركة الاجتماعية روائيّا، فالرواية مجتمع مصغر أو مقطع من مجتمع»[1].

لقد سعت الرّوائيّة من خلال هذا العمل الرّوائي إلى التّركيز على وضع المرأة كذات وموضوع وتعبيرها عن حياتها من خلال موقفها الإيديولوجي الذي يعكس هذا النّص، الّذي يتعلّق بدراسة الراهن الاجتماعي والسياسي للمرأة في المنظومة المجتمعية التي تفتقد للعدالة بحيث يعتبر هذا العمل «كحركة سياسية هدفها الكشف عن مواطن التّمييز ضدّ النساء، سعيا لإحداث تغيير على مستوى الوعي المجتمعي والثقافة الرائجة والتشريعات»[2].

ومن خلال هذه الرواية يتبلور فكر الكاتبة في محاولة التّمرّد على ما هو قائم على ممارسة فعل التّحدّي ضدّ مجموعة من القوى المجتمعيّة مجسّدة ما تعرّضت له من أذى نفسي واجتماعي باعتبارها أنثى، هذه الصّفة الّتي جعلتها في دائرة التّهميش مظهرة بذلك رغبتها في التّحرّر من القوالب الجامدة التي وضعها الآخر، وكذا محاولة التّغلّب على القوانين التّهميشيّة المتمثّلة في سطوة الرّقابة الاجتماعية، وسلطة الأب المتسلّط والخاضع لقوانين المجتمع الذكوري، كما أظهرت الرّغبة الشّديدة بالتّحرّر الجسدي للمرأة والتّحرّر من

[1]– الدكتور مفقود صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص 33.

[2]– د. هالة كمال، النقد الأدبي النسوي، مؤسسة المرأة والذاكرة 2015، سلسلة ترجمات نسوية، العدد 5، ص 14.

الواقع الاجتماعي والسّياسي وذلك: «بالتّمرّد على النّظم السّياسيّة وتعاليم الأديان وما سوى ذلك، مما له علاقة بالماضي والتّراث أو التّقاليد، فكان تمرّدها الأدبي لا يخرج مما أسماه بعضهم بالثّالوث المحرّم (الدّين، الجنس والسّياسة)؛ بحيث على صعيد الجنس عرت الكاتبة المتحرّرة الجسد ونزعت منه صفة المكنون الثّمين الّذي لا يصحّ كشفه وتمرّدت على مصطلحات الحياء والعيب»[1].

من خلال هذا تتجلّى لنا ملامح الكتابات النسويّة في هذه الرّواية التي حاولت الكاتبة "آسيا جبار" فيها مقاربة الموضوعات الممنوعة، فقد تجرّأت على اقتحام المحظور، وبذلك الخروج من التقاليد الذّاتية في الكاتبة، فاعتبرت هذه الرواية كبوّابة للبوح ممّا يضيق الخناق عليها، وما يحدّ من حريّتها وذلك من أجل التّخلّص من أشكال الطابو التي وقعت عليها والتي تعيق أهدافها في الحياة كون النّسويّة تتضمّن «توجها فكريّا يسعى لتحقيق تحوّل اجتماعي بهدف خلق عالم يسغ النساء دون الاكتفاء بمجرّ المساواة بمعنى أخذ الاختلاف بين الجنسين في الاعتبار لتحقيق العدالة للنّساء باعتبارهنّ فئة تعرّضت تاريخيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيّا للاستضعاف والتّهميش»[2].

تتجسّد رؤية العالم في هذه الرّواية من خلال تقديم الكاتبة رؤية تعمقيّة انتقاديّة للمجتمع الجزائري خلال فترة الاستعمار، فقد تعمّقت في تركيبة ونظامه، فنقلت وصوّرت لنا نمط عيش هذا المجتمع وتقاليده وأعراقه الّذي ألقى ظلاله على المرأة وحرّمها من نيل حريّتها.

فأخذت بذلك تنتقد الوضع فتثور عليه؛ بحيث أبدت الرّغبة في التّحرّر منه وتغييره.

فالأديب وهو يعالج الواقع يقوم بتصوير الواقع كما هو، «فالعمل الرّوائي كالعمل الفنّي ككلّ تحطيم للواقع وبعثرة له، ثمّ إعادة بناءه من جديد»[3].

---

[1]– بشرى عبد المجيد تاكفراست، ظاهرة التّمرّد في الكتابة النسائية مظاهر الإبداع الأدبي الحديث، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ص 253.

[2]–هالة كمال، النقد الأدبي النسوي، مرجع سابق، ص13.

[3]– صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص35.

كما أظهرت أيضا الرّوائيّة التّناقض الموجود بين الطبقات المجتمعيّة المتمثّلة في الطّبقة البرجوازيّة، طبقة الأهالي للعالم الأوروبي وطبقة المجتمع التّقليدي الجزائري الخاضع لقوانين السّلطة الاستعماريّة وقوانين نظام المجتمع الذّكوري وهيمنته.

1- في السّلطة الاجتماعية:

لم تتمكّن المرأة الجزائريّة من إبراز ذاتها في المجتمع بسبب العادات والتّقاليد الجائزة الّتي سيطرت عليها وكبلتها بقيود منعتها من المشاركة في أيّ نشاط إبداعي، هذا المجتمع المثقل بالتّقاليد البالية الحاملة لظلم كبير للمرأة باعتبارها رمزا لكلّ ما هو سيّء وقبيح، لا شيء إلاّ لكونها أنثى، هذه الصّفة الّتي جعلتها على الهامش مقارنة مع الجنس الآخر(الآخر) الّذي منحته جميع الصلاحيات الاجتماعية للتّربّع على عرش المجتمع وتستدير قوانينه جاعلة منه المركز والمسيطر على خلاف المرأة التي فرضت عليها التّبعية وبذلك فإنّها وضعت في مرتبة ثانويّة قائمة على الظّلم والتّحقير، وهذا الوضع غير مفروض طبيعيّا وإنّما سطر من طرف المجتمع الّذي يتحكّم فيه الذّكر باعتباره رمزا للقوّة والسّلطة.

ومن خلال ذلك يتبدى لنا أنّ:

« الثّقافة الشّخصيّة الذّاتية الواعيّة لا تمتلك القدرة على ألفاء فعول النسق لأنه مضمر من جهة، ولأنه متمكّن ومنغرس منذ القديم»[1].

ومن هذا المنطلق مارست الروائية "آسيا جبار" التّحدّي ضدّ القوّة التي لا طالما لم تهزم محاولة كسر القيود والحواجز، الّتي فرضت عليها همشتها، وهذا ما نلمسه في ثنايا الرّواية التي لا تكاد تخلو صفحاتها من التّذمّر من الواقع المعيشي لها كأنثى في جميع محطاتها الحياتية منذ أن كانت طفلة، الشّيء الّذي جعلها تظهر رغبتها في الحريّة في الكثير من المظاهر.

[1]- محمد عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 2000، ص 82.

وما نلحظه في إطار الحديث عن ثنائيات المركز والهامش وتجلياتها في هذه الرّواية، فهي أتت متباينة وتتجسّد من خلال ترعرع الكاتبة في أسرة متعلّمة ومثقّفة بين والدها المتعلّم الّذي يعد المدرّس الوحيد العربيّة في المدرسة الفرنسيّة وأمّها البرجوازية الصّغيرة من مدينة شرشال، لهذا فهي كانت محظوظة بذلك في الجانب المادي مقارنة مع الأولاد الآخرين الّذين يرتادون بنفس المدرسة، فهم عبارة عن أبناء عمّال فلاّحين حثالة العمّال كما يسمّونهم الّذين يأتون إلى المدرسة منتعلين أحذية قماشية وأحيانا يأتون حفاة وأولياؤهم لا يتحدّثون سوى العربيّة أو البربريّة على خلاف الكاتبة، الّتي كانت من البرجوازيّات المسلمات المحظوظات وهذا ما يجعلها مركزا:

«أراني مرتدية فستانا قصيرا وجواربي القصيرة تتجاوز حذائي المطلي بالبرنق»[1].

ومن جهة أخرى رغم تحضّر عائلتها، إلاّ أنّهم يعيشون تحت وطأة المجتمع التّقليدي، فهي تبيّن من خلال هذه الرّواية منظومة المجتمع التي تحاول أن تمحي شخصيّة المرأة بداية من الأسرة التي تقوم بسجنها في المنزل لأنها عورة، فهي الأولى التي بادرت لوضع وفرض قيود على المرأة/ الأنثى لمنعها من نيل الحريّة وتمتّعها بالمساواة وفي هذا السّيّاق نجد «قدرة المرأة على التّمتّع بالحقوق كثيرا ما تتعرّض لقيود التّبعيّة الّتي تؤكّد مكانتها الثّانويّة وتبعيتها الاجتماعية»[2].

لقد تجرّأت الرّوائية عن الحديث عن ما هو مسكوت عنه في المجتمع؛ بحيث تناولت بجرأة موضوع الدين وما فرضه على المرأة والقوانين العائليّة التي تقتضي للنساء ليس الحايك ولفّ أجسادهنّ به ووضع العجار لتغطية الوجه من أجل إضفاء السّترة لعدم التّعرّف عليهنّ ففي كلّ مرة توجب عليهنّ الخروج يلزمن بأخذ مرافق معهنّ، فها هي الفتاة (الكاتبة) تروي لنا مرافقها لأمها وهي في سنّ صغيرة جدّا لإبعاد أعين المتلصّصين عليها ومن أجل

[1]– آسيا جبار، بوابة الذكريات، ص 38.

[2]– الحقوق الاقتصاديّة والاجتماعية والثّقافية للمرأة، الوحدة رقم 04، دائرة الحقوق، 85.

الحصول على الحماية، فالمرأة لا تقوى على الخروج عاريّة وفق اللّفظ العربي المستعمل آنذاك، أي دون الحايك والظهور علانيّة كالأوروبيّات اللّواتي يصفهنّ المجتمع بالعاريات رغم احترام الجميع لهنّ.

كما تكشف لنا الرّوائيّة عن العالم المخبّئ وراء جدران المحظورات الّذي يعتبر كسجن كبير للنّساء والفتيات اللواتي لا يجدن متنفسا منه إلاّ في الأعراس النّسائية أو الحمام؛ حيث يتركن أجسادهنّ ترقص بحريّة ليعبّرن عن وطأة عيشهنّ، وهنّ يتقن للخارج تقول:

«ربّما دون وعي مني بذلك كنت أحسّ في هذه المدن الضّيّقة كم كان هائلا عدد أجساد النّساء المكدّسة، هؤلاء النّساء اللاّئي لم يكنّ يتقن إلاّ للخارج، هذا الفضاء الّذي كان محظورا عليهنّ»[1].

كما تستحضر لنا الرّوائية عيّنة من الفتيات اللواتي كنّ يلزمن بالحايك خلال تواجدها بالدّاخليّة، فتروي لنا عن إحدى زميلاتها المسمّاة "فريدة" التي تضطرّ أن تقطع المدينة بكاملها تحت حايك وتبينها طريقة القرويات في إخفاء وجهها، فبالرغم من احتكاك والدها بالمجتمع الأوروبي الّذي كان يعمل ضابطا لصالحهم، إلاّ أنّ قوانين المجتمع المتحفظ والمتشدّد لازالت تتحكّم فيه.

ومن خلال ذلك تظهر لنا الروائية أنّ الحجاب «يخفي جسد المرأة وعقلها وشخصيّتها الّذي يقوم على ما تفرضه التّربيّة في البيوت، الّذي يسيطر عليها الفكر السّائد الّذي يميّز الرّجال عن النّساء»[2].

لكن بعد توالي السنوات تمكّنت "فريدة" من نيل حريّتها والتّخلّص من تلك القيود وأصبحت أكثر تحرّرا بعد انتقالها لأوروبا «كنت أقول في نفسي كم تتعب جراء هذا القناع

[1]– آسيا جبار، بوابة الذكريات، ص 125.

[2]– نوال سعداوي، المرأة والدّين والأخلاق، دار الفكر للطباعة، دمشق، ص35.

المفروض إن لم أعلم أني سألتقي بها بعد عشرين سنة وهي امرأة متحرّرة تماما أكثر منّي في أوروبا»[1].

كما تحرّرت الكاتبة واستطاعت التّخلّص من تلك القيود المجتمعيّة وتمكّنت من الخروج عن السّيطرة والتّهميش، كما ظفرت أمها بالاستقلالية، وبهذا قد تمّ في الحايك وتحوّلت إلى امرأة ذات مظهر أوروبي متمدّن:

«فكان ذلك بالنّسبة إليها كما لو أنّها عادت فجأة إلى مراهقة خجولة وشباب فضولي ومبهور»[2]. أمّا هي فقد ظفرت باستقلالية جسدها وأصبحت تتحرّك دونها قيود.

لكنّها تعتبر من منظور آخر هاما بالنسبة لأبناء عرفها كونها قد تخلت عن مبادئها الدّينية، وذلك بتخلّيها عن الحايك، الّذي يعدّ رمز السّترة والاحتشام، فينظرون إليها نظرة دونية مليئة بالحقد لأنها في نظرهم تعدّ فاجرة بدون ذلك الحايك، لذلك اختارت التّخفّية وراء قناع اللغة الفرنسيّة لإخفاء هويّتها وتحركها بأريحية بلباسها الأوروبي، بعدما كان يسمح بلبس فستان في الحفلات النّسائيّة فقط، أو في الإعداديّة الفرنسيّة حيث كانت الفرصة الوحيدة للبنات الظّهور بحريّة.

2- السلطة الكلونيالية:

لقد سعت السّياسة الاستعماريّة لمحو الهويّة الجزائريّة، وإلغاء ثقافة شعبه التي بنى عليها وذلك بمحاولة تغيير نمط الحياة الجزائرية المحافظة بالتّأثير في أساساته والتّأثير في عالم المرأة بخطوة أولى؛ بحيث تتجلّى سلطة السياسة الاستعماريّة على المرأة في هذه الرّواية في سعي هذه القوّة الكلونياليّة المركزيّة لإلغاء لبس الحايك يجعله كقانون في الدّاخليّة، هذا ما جعل الفتيات يشعرن بشيء من الحريّة دون رقيب، وربّما الشّيء الّذي جعل الكاتبة

[1]- آسيا جبار، بوابة الذكريات، 193.

[2]- المصدر نفسه، ص 193.

تحذوها الرّغبة في التحرر بجسدها كباقي الأوروبيات، لكن من جهة أخرى فإنّ لبس الحايك هو دليل لعدم الرّضوخ للمستعمر.

لقد كانت الرّوائية تحس بأنها على هامش زميلاتها الأوروبيات في طريقة معيشتهنّ وتحرّرهنّ فتصرح بذلك لقولها:

«لماذا أحسست بأنّي على الهامش إلى جانب الفرنسيات وهذه اللواتي كنت أكاذبهنّ بالداخلية لاسيما جاكلين، جارتي في المرقد»[1].

"جاكلين" الّتي كانت تحدّثها عن غرامياتها؛ بحيث كانت معجبة بها وبحريّتها، الأمر الّذي جعلها تشعر بغربة في وطنها المنقسم إلى عالمين: عالم المركز/ الأوروبي والآخر الهامشي/ الجزائري المقيّد من طرف السّلطة الكلونياليّة الفرنسية، فقد ظلّ هذا العالم منقسم إلى قسمين كلّ واحد غريب عن الآخر:

«لا أراني إذن لا في السّنّ الثانية عشرة ولا الثالثة عشرة ولا حتى بعد ذلك أخبار العتبة العائلية لإحدى زميلاتي الأوروبيات».

كما تظهر سيطرة السلطة الاستعمارية التي فرضت قيودها على الكاتبة في إجبارية تعلمها اللغة الفرنسية في المدرسة ورفض طلبها في تعلم العربية التي تعتبر لغة أهلها ومجتمعها فقد كان فضاء المدرسة هو فضاء اللغة الفرنسيّة، التي اعتبرت سلاحا قويّا امتلكته فرنسا، على خلاف العربية التي كانت قتيلة الحرب الجزائرية وذلك بتتبع كلّ الأساليب من أجل إلقائها بالعمل على فرنسة الشّعب الجزائري، لذلك فقد كانت الكاتبة تعيش منفى لغتها بعدم قدرتها على تعلّمها وحفظ قواعدها.

[1]– آسيا جبار، بوابة الذكريات، ص228.

3- السلطة الذكورية:

لقد تجذّرت الهيمنة الذكورية في كلّ المجتمعات لاسيما المتخلّفة والفقيرة التي تعكس مظاهر الحيف والظّلم بذكر المجتمع الجزائري على وجه الخصوص، فلقد تمتع الرّجل بالأفضليّة في كلّ مكان وفي كلّ زمان منذ العصور الأزليّة.

«ففي ظلّ الصّراع المحتدم بين الرّجل والمرأة/ بين الذّكورة والأنوثة، اختفت أدبيات الخطاب النّسوي بالمعارك السّياسيّة/ الاجتماعية والثّقافية التي تخوضها المرأة لتحصيل حقوقها، وعملت على خلق هدف وهمي توجه نحو هذه المعارك ولم يكن الهدف سوى الرّجل/ الآخر الّذي يصل في تصنيفه إلى درجة العدوّ الّذي يسلبها حقّها»[1].

هذا الرّجل الّذي عمل جاهدا على إرساء هيمنته بإخراجه للمرأة إلى هامش المجتمع من منطلق أنّ:

«الثّقافة الذّكوريّة المهيمنة تستمدّ قوّتها من نظام أبوي متسلّط داخل الأسرة يمتدّ إلى العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع ويتمظهر كمعطى ثقافي عام»[2].

ومن خلال هذه الرّواية نلمح نوعين من السّلطة الذّكورية وتتمثّلان في:

أ-السّلطة الأبويّة:

إنّ السّلطة الأبويّة قائمة على الهيمنة والسّيطرة على المرأة ومصادرة حقوقها وآرائها؛ بحيث أنّ كلّ عضو في العائلة الأبوية مطالب بالطّاعة المطلقة والالتزام بالاحترام، بدليل أنّ الأب يمثّل العائل الوحيد الحائز على سلطة البيت، وهو السّيّد لأنه إليه يعود نسب الأولاد.

---

[1]- بوعنجور فوزية، الآخر في الرّواية النّسويّة العربيّة خلال القرنين 18/17، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب الحديث، ص 07.

[2]- عبد اللطيف كداي، دور البناء في الدّول العربية ومسارات الإصلاح والتّغيير، المؤتمر السّادس لمنظمة المرأة العربية، القاهرة 13- 19 ديسمبر 2016.

أمّا المرأة فهي مصدر استهلاك كما أنّ «الأعراف الاجتماعية والثّقافية تؤكد أولويّة الدّور البيولوجي ومهمّة إنجاب الأطفال في تجديد هويّة المرأة ودورها في المجتمع، وفي هذا السّيّاق نجد قدرة المرأة على التمتع بالحقوق كثيرا ما تتعرّض لقيود التّبعيّة التي تؤكد مكانتها الثّانويّة وتبعيتها الاجتماعيّة»[1]، وبالتّالي فعليها الخضوع للسّيّد والرّضوخ لأحكامه.

يظهر دور الأب في رواية "بوابّة الذّكريات" أنّه مصدر السّلطة، فبالرغم من تعلّمه إلاّ أنّه قد يبقى فردا جزائريّا خاضعا لقوانين مجتمعه الذّكوريّة القائمة على جعل المرأة في منزلة غير متساوية لمنزلته، وبذلك فقد أثّرت على عقليّته في ممارسة دوره كأب، فأصبح يمارس السّلطة على زوجته وابنته، وتحتم على هذه الابنة مواجهة هذه السّيطرة الأبوية.

ومن مظاهر هذه السّلطة الظاهرة في هذا العمل الرّوائي نجد عدم قبول أب الرّوائيّة ركوبها للدّرّاجة ومساعدة الشّاب لها، بالرّغم من أنّها لازالت في سنّ صغيرة جدّا في الرّابعة أو الخامسة من عمرها، هذا الفعل الصّادر من طفلة صغيرة بريئة في محاولتها لتتعلّم ركوب الدّرّاجة قد أشعلت نيران غضب الأب وذلك بمجرّد مشاهدته لذلك المنظر وذلك لقول الكاتبة: «كلاّ، لا أريد أن تظهر ابنتي ساقيها وهي تركب الدّرّاجة»[2].

هذا الأمر الّذي أحدث شرخا في نفسها؛ بحيث أصبحت ترى أباها كأنّه شخص آخر مختلف تماما عن الّذي تعوّدت عليه، فقد شعرت أنّ أباها قام بتحديد شخصيتها ونزع منها شيئا لم يكن يملكه محدّدا ساقيها على أنّهما خطّ أحمر ووصمة عار في عالم المحظورات يمنع الاقتراب ناحيهما.

هذه السّلطة الّتي تعتبر كلّ طفل أو كهل أو عجوز هو بالضّرورة متلصص وداعر أمام ساقي بنت مفصولتين عن باقي جسدها؛ فيمارس هذا سيطرته على الأولاد والزوجة في كلّ يوم وفي كلّ مكان خوفا من مساس شرفه تقول: «يستدعيني إلى محكمة الأجداد

[1]– الحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة للمرأة، الوحدة رقم 04، دائرة الحقوق، ص85.

[2]– آسيا جبار، بوابة الذّكريات، 63.

المختصّة في المحظورات ضدّ النّساء ذوات السّنّ الخامسة أو ثلاث أو أربع سنوات إلى غاية سنّ البلوغ وإلى غاية ليلة الزّفاف قصد التّنازل على هذا الحقّ الثّقيل لصالح الزّوج ولكن الأب ككلّ أب يمكنه تنفّس الصّعداء أخيرا والتّخلّص من عبء واجب التّخفي»[1].

ومن هنا يظهر السّبب الكامن وراء ممارسة الأب السّيطرة على البنت وهو مخافة لمساس الشّرف؛ بحيث يعتبر هذا الأخير أمرا بالغ الأهميّة في المجتمعات التّقليديّة الإسلاميّة لاسيما في الأوساط الجزائريّة.

وتؤكّد الروائية أنّ هذا حال جميع البنات من نفس زمرتها اللّواتي يعشن معها في الداخليّة كمعتقلات، لكن بأقلّ درجة من البيت؛ حيث يعشن تحت رقابة حارس حريم متغطرس وبالرّغم من ذلك إلاّ أنّهنّ يتمسّكن بأمل التّحرّر من هذه السّيطرة القائمة على التّحقير بتعلّمهنّ وحصولهنّ على البكالوريا، فيطمعن في التّحرّر والتّخلّص من هذه السّلطة الأبويّة التي تتحكّم فيها الأعراف والتّقاليد تقول في هذا السّياق:

«فبالنّسبة إلى هؤلاء الدّاخليّات المرتديات المئزر وحتى اللّواتي لا يخرجن أبدا وأحيانا لمدّة فصل كامل، فإنّهنّ بعد الحصول على الأهليّة أو البكالوريا لن يقوى الأب أو الأخ البكر على إجبارهنّ على الزّواج من أحد الأقارب، بل سيحظين بالدّراسة فيما بعد بالجامعة ثمّ ممارسة مهنة ما»[2].

أمّا بالنّسبة لدور الزّوجة/ الأمّ فهو يأتي دائما بالرضوخ لأوامر الزّوج ومسايرته «فالنّساء يتظاهرن أمام أزواجهنّ وأبنائهنّ بأنّ هؤلاء الأزواج هم السادة»[3].

ومن هنا يظهر لنا أنّ الحياة الزّوجية «تقوم على فلسفة العبوديّة القديمة التي تجعل الرّجل مالكا لزوجته، لكن الزّوجة لا تمتلك زوجها، لأنّ السّيّد يملك العبد، لكن العبد لا يملك

[1]– آسيا جبار، بوابة الذكريات، ص 72.

[2]– المصدر نفسه، ص 183.

[3]– المصدر نفسه، ص 49.

السّيّد»[1]. فها هي الكاتبة تعترف أنّ رغم كون أمّها مثقّفة ورغم برجوازيتها إلاّ أنّها تعيش كزوجة مختلفة مثل زوجات الأهالي تقول:

«حتّى وإن كانت عند الحديث عنه بالعربيّة تكتفي بالقول "أبوك" مشدّدة بسلطانه عليّ هذه السّلطة التي ورثها عن التّقاليد والأّعراف»[2].

من خلال هذا يتجلّى لنا سعي النّظام الأبوي والذّكوري لتأكيد السّيطرة وذلك بفرض «قانون الاحتباس المفروض على النّساء الّذي يقوم على سيطرة الرّجل على زوجته وامتلاكه لجسدها وعقلها واحتباسها عند اللّزوم فلا تسافر إلاّ بإذنه ولا تخرج من البيت إلاّ بإذنه»[3].

كما تظهر لنا سلطة الأب في عدم قبوله بالانحناء بسبب اعتقاده بأنّ ذلك ينقص من قيمته ورجولته وكرامته تقول:

«والحال عند دونيا لا نقبل وجنتي الأب (علما أنّ أبي لا ينحني)»[4].

وهذا دليل كاف على السّيطرة والتّعالي والتفاخر بالذّكورة.

ب-سلطوية الرّجل/ الخطيب:

لقد طرقت الروائية باب المّباح من القول ودخلت إلى عالم المحظور بتجرّئها بالحديث عن الحب، الّذي يعتبر الممنوعات لاسيما في مجتمع جزائري محافظ وبذلك قد تمّ كسر الطابوهات وذلك بإقصائها عن المقموع والمكبوت وتفجيره عبر الكتابة؛ بحيث نلمس في هذه الرّواية شيئا من البوح الدّاخلي «وتحرّر شيئا فشيئا من جماليّات الرّجل ورؤاه، وتنفتح بهذا القدر أو ذاك على الذاتية والرّغائب الدّقيقة وتحكي بالكلام والصّمت عن الفقد والإقصاء، إنّها نصوص أنثويّة متكوّنة بالانعتاق والبحث عن فضاءات أرحب للحريّة والجرأة مشحونة

[1]- نوال السّعداوي وآخرون، المودة والدّين والأخلاق، دار الفكر، دمشق، مطبعة سيكو، بيروت، ص 40.

[2]- آسيا جبار، بوابة الذكريات، 117.

[3]- نوال السعداودي، المرأة والدّين والأخلاق، 35.

[4]- آسيا جبار، بوابة الذكريات، ص 150.

بالاحتجاج والرّفض وهي تعانق جماليّة الكلمة في أقصى درجات استغلالها لتحرير المرأة الكاتبة من وصايا الرّؤية الرّجالية»[1].

فقد لازمت الرّوائية السّيطرة الذّكوريّة ويظهر ذلك في الدّور الّذي يسعى لفرض هيمنته عليها وما انفكّ عن التّحكّم بها ومحاولته تقييدها؛ بحيث تمكّنت الكاتبة أن تنقل للقرّاء «نظرة الرّجل الذّكورية للمرأة وأحيانا بشكل فاضح، وذلك بأسلوب شيّق وممتع في محاولة الكشف عن حقيقة هذا الرّجل الّذي سامها شتى أنواع القمع والاضطهاد»[2].

وتتجلّى هذه السّيطرة في قول الكاتبة:

«أبصر هذا الرّجل أو بالأحرى هذا الحيوان الّذي يبرز أسنانه إنه يتحدّث ويرفع صوته كلماته الملقاة أو المهتزة تسقط أمامي في فراغ»[3].

ومن هنا يظهر لنا الدّور الّذي مارسه "طارق" على الروائية الّذي يتمثّل في الرّغبة في إخضاعها لسلطته التّهميشيّة، هذا الرّجل الّذي كشفت حقيقته بفضل صديقتها المزيّفة "ماق" التي كان همّها الوحيد إنشاء فجوة بينها وبين صديقها، لكنها أيضا كانت السبب في إعادة بصيرتها وتفطّنها لحقيقة ذلك الذّكر المتوحّش المتمركز حول ذاته تقول:

«عبر عقود من الزّمن من اكتشافي المتعثر البطيء إزاء هذا الذّكر المنتفخ بسلطة وهمية أستعيد حواسي التّامة، سمعي نظرتي الصّاقلة بحياء بارد»[4].

من خلال كلّ ما مررنا به في هذه دراسة هذه الرّواية يتبلور لنا الوعي النّسوي الّذي يتمثّل في إدراك الرّوائيّة "آسيا جبار" بأنّ النّساء ينتمين إلى فئة ثانويّة ورفضهنّ لهذا الوضع بالسّعي لتغيير هذا الواقع الظالم والعمل على تحقيقه؛ بحيث أنّ:

---

[1]– بشرى عبد المجيد تاكفراست، ظاهرة التّمرّد في الكتابات النّسائية مظهر الإبداع الأدبي الحديث، مجلة الدراسات اللغوية، ص 256.

[2]– المرجع نفسه، ص 258.

[3]– آسيا جبار، بوابة الذكريات، ص 448.

[4]– المصدر نفسه، ص 449.

«استراتيجية تحرير النّساء يجب أن تشتمل على مجموع العلاقات الاجتماعيّة التي تحدّد مكانة النّساء، هذا يعني أنها يجب أن تشتمل العلاقات ذات الطابع الطّبقي وكذلك العلاقات ذات الطّابع الجنسائي، يجب أن تحاول تحديد الصلة ما بين هذين العنصرين في اضطهاد النساء في وضعيتها الملموسة الذّكورية»[1].

وبالتّالي فإنّ تحرير النساء لا يتحقّق إلاّ بمجهودهن، حتّى وإن قام الرّجال بمساندتهنّ فإنّ إثبات وجودهنّ بأنفسهنّ ضروري في كلّ المجالات سواء كانت فكريّة أو سياسيّة أو اجتماعيّة، من منطلق أنّ أيّ فئة خاضعة للقهر في المجتمع لا يمكن أن تتحرّر إلاّ بمجهوداتها في طريق السّعي لإبراز ذاتها.

[1]– أورزولا شوي، أصل الفروق بين الجنسين، ترجمة: بوعلي ياسين، الطبعة الثانية، دار الحوار للنّشر اللاذقية، سوريا، 1995، ص 25.

خاتمـــة

لقد حاولنا من خلال دراستنا لموضوع المرأة بين المركز والهامش في رواية "بوابة الذكريات" أنّ نجيب على مختلف التّساؤلات التي ضمّنتها إشكالية هذا البحث ونتوصّل إلى عدّة نتائج والتي نلخصها في نقاط مختلفة وهي:

– أنّ المركز والهامش ثنائية ضديّة تشمل مختلف المجالات الاجتماعية، الثّقافية، الاقتصاديّة والأدبية... ومشكلة علاقة جدليّة.

– تعتبر العلاقة بين المركز والهامش غير مستقرّة تقوم على الصّراع والتتابع إذ لا وجود للمركز ما لم نجد الهامش.

– شمل موضوع المركز والهامش المرأة باعتبارها هامشا لا يحقّ لها الكلام أو حتى الكتابة.

– اعتبار النّسوية نضال هدفه إرجاع المكانة المسلوبة للمرأة وتحقيق المساواة وتأكيد إمكانيّة تغيّرها للنظام الاجتماعي والاقتصادي والسّياسي.

– الكشف عن مشاكل المرأة في المجتمع الجزائري، وكذا المجتمعات الأخرى سواء العربيّة أو الغربية وبيان الجانب المضيء منها.

– لقد صورت الرواية تجاذبات المركز والهامش التي تعكس الاختلال الموجود بين الطرفين والتجويف الحاصل بين السلطة المركزية وسلطة التهميش.

– من خصائص الكتابة النسوية اختراق الطابوهات ومقاومتها.

– الأدب النسوي هو عبارة مقاومة من أجل تحقيق الذات والوجود والكينونة في وسط هادف لإخضاع المرأة وإسكاتها، وذلك بالحديث عن هواجس المرأة في العالم الواقعي ونقلها للعالم الروائي.

– تعكس هذه المدونة الصراعات الداخلية التي مرت بها الروائية "آسيا جبار" في مختلف محطاتها الحياتية، بحيث كشفت المقموع والمكبوت وعكست مكا عاشته من انكسار داخلي ونفسي في المجتمع الذي يسيطر عليه الجنس الآخر، بذلك تكون قد مارست التمرد

على الثقافة الذكورية والنظام البطريركي محاولة إثبات ذاتها الأنثوية، متحدية في كثير من المواضيع الأعراف والتقاليد والدين والقوانين التي سنها المجتمع.

– شكلت ثنائية المركز والهامش في رواية "بوابة الذكريات" دورا جماليا باعتبارهما ثنائية ضدية وعنصران متلازمين، وذلك بوصف الهامش نفيا للأشكال القائمة وتقديم جماليات جديدة ضمن بنية العمل الفني المخالفة لتلك الرسمية الموضوعة التي صاغتها وشرعتها قوانين المجتمع.

ملحق

1 ملخّص الرواية:

هي يوميات السّيرة الذاتية للكاتبة، عبارة عن ألبوم من الصّور التاريخية وعبارة عن إفراغ للذاكرة، ذاكرة طفلة صغيرة، تبلغ من العمر ثلاثة أعوام تسكن في قرية من القرى الجزائرية، وكما هم الأطفال في العادة مرحين باللّهو مستمتعين بطفولتهم وبراءتها الفياضة كانت بطلة الرّواية تحمل نفس ذلك الحسّ الطّفولي غير أنّها تجاوزته إلى الشّعور بالفضول المتواصل لمعرفة البيئة المحيطة بها واكتشاف أسرار أزقتها ومعرفة ثقافتها، كما لو أنّها قمّصت من الوعي قطعة كبيرة تناولتها دفعة واحدة في سنّ مبكّرة وبالفعل كان ذلك الفضول الّذي بسّط لها البساط الأحمر لتنمي وتكون على طول المسار متفوّقة الوعي بالأنا لاسيما، وأنها تنتمي لبيت غزير التّفاصيل، الوجود فيه ألهمها كتابة مذكّرة يومياتها بتفاصيلها بشكل قد يجعلها تحفة صافية تقرأ النساء الجزائريات أنفسهنّ من خلالها.

هكذا كانت انطلاقة حياة فتاة صغيرة، اختلطت طفولتها برغبات فتاة ناضجة تهوى الغوص في خبايا الحكايات الشّعبيّة التي تلفظها أذناها من الحكايات الشّعبيّة في جلسات تجمع نساء البيت والتي من خلالها تكوّنت لها حبّ الإطّلاع على الكتب، ما قادها إلى قراءة أوّل رواية في سنّ الخامسة المعنونة ب: "بلا عائلة" وتعرف باسم الشّرير ل"هكتور مالو" حيث ازدوج بها التّعسّف سيطرة الاستعماريّة من جهة والحكم الأبوي من جهة أخرى وامتنعت عنها الحريّة رسم حياتها بما تشتهيها نفسها فلا سيطرة لها على نفسها؛ بل أنّها تخضع لقوى جبريّة يفرضها عليها الوالد ويجعل منها قالبا بشريّا مسيّرا وحسب. الأمر الّذي دفع بها للقول: لا مكان لي في بيت أبي وأمّا أمّها فكانت منحدرة من الطّبقة البرجوازية ذات أصول أندلسيّة، وفي كلّ مرّة كانت تكشف لها جانبا من طبيعة الحياة التي تعيشها الفتاة الجزائريّة بتفاصيلها، كانت تأخذ بيدها إلى الحمامات النسائية وحفلات الأعراس... وكانت "آسيا جبار" حينها تحضر كلّ ذلك بأعين فاضحة للعادات والتقاليد الموروثة وفضول لا ينته وذاكرة مسجّلة تستنطق بها كلّ ما هو مكتوم وتكشف السّتار عن كلّ محظور عاشته في بيت الأهل وفي ظلّ البيئة الاستعمارية.

تعود بها الذّاكرة إلى الأيام المدرسيّة، المدرسة الكلونيالية لتتذكّر أنّها الفتاة العربية الوحيدة المتوفّقة من بين جميع الفتيات الجزائريّات اللّواتي يشاركنها القسم نفسه بسبب حظّها السّعيد، الّذي جعل منها ابنة معلم ذو مستوى يمتلك من المؤهّلات ما ينعم على ابنته درجة التّفوّق بعكس الأخريات المنغمسات في فوضى الرّجعيّة التي ألحقها المستعمر بالوطن الجزائري وبمناسبة تفوّقها كرّمت بهديّة رمزيّة تمثّلت في كتاب فور ما تسلّمته سارعت قد أبيها لإسعاده لكن طمعها في إسعاده ذهب مهبّ الريح فهو لم يعر الكتاب اهتماما؛ حيث أثنى عليها بابتسامة بسيطة أربكت ابنته التي لم تع سببا سيتحقّق مثل ذلك التّجاهل فقد أبانت نظرة عناد الأب للكتّاب عن عدم رضاه لسبب وجيه هو أنّ الغلاف الخارجي للكتاب يحمل صورة (المارشال بيتان) حاكم فرنسا والدّول المستعمرة خلال تلك الفترة لكنّها لم تفهم كلّ ذلك لعدم إدراكها ولصغر سنّها.

تنقلنا بعدها إلى ذكرى الدّراجة تلك الحادثة الّتي مثّلت منعطفا في حياتها عندما حاولت ركوب الدّرّاجة أعادها إياها ابن جارة لهم وبمساعدة منهم، فكشفت عن ساقيها وهو المشهد الّذي أثار من ثورة أبيها لهذا المنظر المهوّل بالنّسبة له إذ يشهده الصبيّ ويعد هذا محظورا حسب أعرافهم، المحظور الّذي جعل الوالد يتقمّص شخصيّة أخرى غريبّة من كونه أب بل أنّه المتعصّب، كائن بلا هويّة، مادّة بلا خامة ووحلا صادر من تربة مجهولة كما وصفته الكاتبة.

ومن الأيام التي قضتها في سنّ المراهقة حبة صديقات المدرسة الدّاخليّة، تلك الأيّام الّتي شكّلت نفقا سريّا تلجّ من خلاله إلى ذاتها ومتنفسا لها عن القيم الاجتماعية التي أجبرت على مراعاتها غضبا عنها فأضحت تلك الأيّام حريّة مؤقّتة بالنسبة لها مصحوبة بضمير يؤنبها كلما أقدمت على أمر يخرج عن صرامة والدها الّذي تستحضر شبحه كلّ مرّة تخطو فيها نحو عالم الشباب كما لو أنّ ناظر أبيها يتأملها في كلّ حين حتى في غيابه.

احتكّت أوّل الأمر بصديقة اسمها "ماقا"، وجدت فيها ما يماثل شخصيّتها في حبّ الكتب كما ساعدتها في الخروج من الضيق الفكري وعزلتها ومهّدت لها فكرة عبور السياج الشائك الّذي فرضته عليها سلطة الأب، والانفلات منها ولو لم يكن للأبد بل لفترات منقطعة تتزامن مع

وجودها خارج سجن الأب، اكتشفت وصحبتها السينما الكبرى والتّجوّل إلى وسط المدينة، هكذا تحوّلت المغامرة مع "ماق" عادة تتكرّر في كلّ يوم استجابة لرغبتها في معاودة

تلك المغامرة ولما لا؟ غير أنّها كلّ مرّة تشعر في قرارة نفسها بالذّنب لانحرافها عن صورة الأب الحقيقيّة.

ثمّ تعرّفت على "فريدة" الفتاة المقيّدة التي أخضعت جمالها الجذّاب بقيد الحايك الأبي الفضفاض ذلك القناع المفروض، كما عبّرت عنه الكاتبة لتخفيه بعيدا عن أنظار كلّ رجل قد يصادفها في الطّريق وقد بهرت بها بطلة الرواية "آسيا جبار" لأخلاقها وعفّتها الشّديدة، تلي هذه الصّداقة صداقة ثالثة جمعتها بفتاة تدعى "منيرة" وهي تمثّل بالنّسبة لنا الجسر، الّذي ربط بينها وبين عالم الرّجال الّذي انخرطت فيه دون سابق استعداد أين افتتحت حياتها العاطفية بعلاقة لم تبلغ درجة التّعلق، وكان الشاب يلقّب بالصحراوي، وما اسمه الحقيقي "علي" آلت علاقتهما إلى الشتات والفراق بعد فترة زمنية قصيرة للتّطرّف الّذي أبداه الشاب، تليها علاقة حبّ جادة مع "طارق" الّذي مالت إليه خاصّة وأنّه تخصّص في دراسة اللغة العربية، وهو التّخصّص الّذي تكونت لديها رغبة في توجيه مستقبلها التعليمي لتعلّمه كلغة أجنبيّة وهو العرض الّذي تلقّت رفضه بعد أن طلبته، ورغم ذلك تبقى هذه الرّغبة متغلغلة في أعكاقها لتلقى السبيل لتعلّم الشرير منها على يد هذا الشاب وتحفل بمعرفته ويحظى هو في المقابل بنصيب من اهتمامها وقدرا من إعجابها، فتطلب منه أن يراسلها رسائل يكتب فيها أبيات شعري عربي من خير ما جاد طرازه كما تطلب منه شرحها باللغة الفرنسية، ولكن رغم توطد العلاقة بينهما وسلسلة المواعيد التي تجمعها تحال في النهاية إلى الفشل.

بعد أن توالت هذه التّجارب دون تحقيق شيء حتّى في وسط هذه التّجارب التي تقف عندها قبالة رجل غريب كان الخوف من أبيها يحاصرها كلّما فكّرت بما قد يحث لها غذا ما بلغه الأمر بل لم يسعها التّفكير في تخيّل ردّة فعله الّتي لاشكّ أن تكون عنيفة، لتجد نفسها تحثّها على الانتحار قبل أن يعرف هو بعلاقتها الغراميّة لإدراكها أنّ تمزيق العفّة موضوع لا يقبل حتى

النّقاش مع أبيها المتعصّب لمثل هذه الأمور، فتكرّر فكرة الانتحار مرارا التي رغم المحاولة باءت بالفشل.

لتواصل بعد ذلك السّرد عن تلك المرحلة وما تلاها من الأيّام بحياء مربك، أمّا باقي الرّواية فقد شحنت ببعض الأسئلة التي طرحها بعد أن اكتملت تجاربها ونضجت أسئلة تخبأ ورائها عتاب موجّه لنفسه وندم على ذلك الخضوع للقيود، وفضّلت لو أنّها تجاوزت ذلك الصّمت فتقول: «بالكاد بدأت أفهم أنّ أخطر الأمور هو صمتي –صمتي عن هذه الغريزة التي رغما عنّي وفي كانت في طور الإعداد»[1].

وتقول: «انحبست أمام الخطيب– الزوج؟ أمام الآخرين لكن أيّ آخرين... كان الصّمت إزاء الذّات أحظّ، إنّ الكتب والقصص والنّظريّات والملاحم والانفعالات الغنائية وكلّ هذا الغليان لم يفدك إذن لا في تحفيزك ولا تحذيرك أو تطهيرك... إنّما أفادك فقط في تحذيرك وحملك على الفرار أمام دخان المخيال والذوبان لم يفدك في الارتماء ودفعك فقط إلى النّوم»[2].

وتقول أيضا: «كان من الأجدر بك أن تصرخي في القفار كما العديد من الزهاد وهو كثر في بلاد الأجداد»[3].

يليها بعد ذلك السؤال المحوري: «لماذا علي أنا أن أجدني وجميع الأخريات بلا حيز في بيت أبي»[4].

[1]– آسيا جبار، بوابة الذكريات، ص 493.

[2]– المصدر نفسه، ص 501.

[3]– المصدر نفسه، ص 502.

[4]– المصدر نفسه، ص 510.

2-نبذة عن الكاتبة "آسيا جبار":

ولدت "آسيا جبار" واسمها الحقيقي "فاطمة الزهراء املحاين"، في 30 يونيو حزيران عم 1936 في الجزائر، ووالديها "طاهر املاين" و"باهية صحراوي" كان والدها مدرّس اللّغة الفرنسيّة في مدرسة موزاييل فيل في منطقة متيجة وهي المدرسة الابتدائية ذاتها التي التحقت بها "آسيا".

أمضت "آسيا" بعض الوقت في مدرسة داخليّة في مدينة البليدة كانت تركّز على دراسة القرآن الكريم، فكانت واحدة من طالبتين اثنتين فقط في فصلها الدّراسي ثمّ أكملت دراستها الثّانويّة في كليّة البليدة؛ حيث كانت الطالبة المسلمة الوحيدة في فصلها الدّراسي ثمّ أكملت دراستها بعد ذلك في جامعة السوربون عام 1956 وحصلت على الدكتوراه من جامعة مونبليسه في باريس.

إنجازاتها:

أسهمت تجارب "آسيا جبّار" في طفولتها المبكّرة في صقل دورها بوصفها امرأة مسلمة تدافع عن حقوق المرأة والكثير من أعمالها تتناول جوانب سليمة من السّلطة الأبوية والحدود الّتي تفرضها على النّساء، وقد نشرت روايتها الأولى عام 1957 والتي كانت بعنوان "العطش" باسم "آسيا جبار" خوفا من عدم موافقة والدها، فكانت هذه الرواية هي أوّل رواية تنشرها امرأة جزائرية خارج الجزائر، وهي تتحدّث عن الخيانة والإغواء داخل الطبقة العليا في الجزائر.

أمّا روايتها الثّانية "القلقون" فخرجت إلى النور عام 1958، وكانت تركز على الأمور الدّاخليّة التي كانت تحدث في الطبقة العليا في الجزائر.

وفي عام 1962 نشرت رواية "أطفال العالم الجديد" وصوّرت فيها دور المرأة التي لعبته في حرب الاستقلال الجزائريّة ضدّ فرنسا، ثمّ نشرت عام 1967 تتمّة لرواية "أطفال العالم الجديد" بعنوان "العبرات السّاذجة"، بالإضافة إلى مسرحية تحت عنوان "أحمر لون الفجر" عام 1969 وكانت تتعاون مع زوجها آنذاك وليد قرن بعدها عادت إلى الجزائر وأمضت وقتها هناك في تدريس التاريخ في جامعة الجزائر بعدها عميدة قسم اللغة الفرنسيّة في الجامعة.

وفي عام 1978 لتنشر رواية جديدة تحت عنوان "نوبة نساء جبل شنوة"، بعدها عادت للكتابة عام 1980 لتنشر رواية جديدة تحت عنوان "نساء الجزائر في مخدعهنّ" وتتحدّث عن انعدام المساواة بين الرّجل والمرأة في الجزائر ما بعد الاستعمار.

وتعرف عن "جبار" مناهضتها للسّلطة الأبوية والاستعمار، وهو ما شكّل أساس كتابتها كما يرتبط اسمها كثيرا بالحركة النّسويّة في الأدب، ومن أهمّ أعمالها روايتها "العطش" المنشورة عام 1957 التي تصوّر فيها بطلة القصّة التي تؤكّد على هويّتها وعلى رغباتها الجنسيّة من خلال خوضها تجربة عاطفيّة فتعارض آراء المسلمين التّقليدية حول المرأة.

ومن أعمالها المهمّة أيضا رواية "أطفال العالم الجديد" عام 1962 ورواية متممة لها "العبرات الساذجة" وهما من أهمّ الرّوايات التي تظهر مقدار الخيانة في المجتمع الجزائري ما بعد الاستعمار.

منحت "آسيا جبار" جائزة نيوستاد الدّوليّة للأدب عام 1996 عن إسهاماتها في علم الأدب، كما نالت جائزة معرض الكتب الألمانية عام 2000.

ومن أشهر أقوالها:

الكتابة بلغة أجنبية أرجعتن إلى صرخات النّساء الثّائرات في صمت، إلى أصلي الوحيد، الكتابة لا تقتل الصّوت بل توقظه.... الخ من أقوال عديدة.

ومن أبرز جوائزها:

- جائزة الصّداقة الفرنسية العربية لعام 1985 عن رواية "الحب والفنتازيا".
- جائزة نيوستاد الدولية للأدب لعام 1996.
- جائزة السلام الألمانية لتجارة الكتب لعام 2000.

وتعدّ كلّ هذه الإنجازات التي حقّقتها في مختلف المجالات وكلّ الجوائز زالألقاب إلاّ أنّ "آسيا جبار" فارقت الحياة في 6 فبراير 2015 في مدينة "باريس" بفرنسا ودفنت في منطقة شرشال في الجزائر أي في بلدها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم، واللفظ البخاري.

1.المصادر:

آسيا جبار، بوابة الذكريات، تر: محمد يحياتن.

2- المراجع باللغة العربيّة:

- إبراهيم خليل، في الرواية النسوية العربية، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2007.
- بشرى عبد المجيد تاكفراست، ظاهرة التّمرّد في الكتابة النسائية مظاهر الإبداع الأدبي الحديث، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية.
- بوعنجور فوزية، الآخر في الرّواية النّسويّة العربيّة خلال القرنين 18/17، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب الحديث.
- جمال مجناح ومشقوق هدبيّة، جدل المفاهيم في موضوعة الهامش والمهمّشين، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة.
- جمانه طه، المرأة في منظور الدين والواقع، دراسة مقارنة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
- جورج طرابيشي، أنثى ضد أنوثة، دراسة في أدب نوال السعداوي، دار الطليعة، بيروت، ط 2، 1995.
- حنان بن قيراط، المركز والهامش في الأدب، جامعة 8 ماي 1945، قالمة الجزائر.
- الدكتور مفقود صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- ذاكر نائيك، حقوق المرأة في الإسلام محفوظة أم مهدورة؟
- رياض القرشي، النسوية، قراءة في الخلفية المعرفي لخطاب المرأة في الغرب، دار حضر موت للدراسات والنشر، 2007.

- زكي السيد أبو غصة، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 1، 1424/ 2003.
- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعو محمد خيضر، بسكرة، ط2، 2006
- عبد الرحمان بن محمد خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، مصر، 2010.
- عبد الله محمد الغذامي، المرأة واللغة، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي للنشر.
- عبد المالك مرتاض: نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، د ط، ديسمبر 1998.
- عبد المجيد البيانوني، إنها الأنثى- رؤى نقدية حول دعوى التمييز ضد المرأة، ط 1، 1426.
- علي عبد الرزاق علي، دراسات في علم المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984.
- مجموعة من الأدباء والكتّاب، أدب المرأة- دراسات نقديّة، الرياض، ط 1، العبيكان للنشر، 1428هـ/ 2007 م.
- محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، مكتبة الشعراوي الإسلامية.
- مشقوق هنية، المرأة بين سيطرة الآخر وإثبات الذات "اكتشاف الشهوة أنموذجا".
- مية الرحبي، النسوية مفاهيم وقضايا، ط 1، 2014، الرحبة للنشر والتوزيع.
- نوال السّعداوي وآخرون، المودة والدّين والأخلاق، دار الفكر، دمشق، مطبعة سيكو، بيروت.
- هالة كمال، النقد الأدبي النسوي، مؤسسة المرأة والذاكرة 2015، سلسلة ترجمات نسوية، العدد 5.

- يمينة عجناك، الكتابة النسائية في الجزائر وإشكاليتها، نقلا عن دوغمان أحمد، الصوت النسائي في الأدب الجزائري.

3- المعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب، ج 14، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، دت.
- الإمام محمد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزأبادي الشيرازي الشافعي، القاموس المحيط، ج4، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- أنطوان نعمة وآخرون، المجلد الوسيط في اللغة العربية والمعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 1، 2003.
- بول آرون وآخرون، معجم المصطلحات الأدبية، تر: د محمد حمود، ت ن، 2012.
- فتحي إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، م للنشر المتحدين تونس، 1988، ص 60-61 نقلا عن صالح مفقودة، صورة المرأة في الرواية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2001/ 2002.
- محمد عاطف الغيث، قاموس علم الاجتماع، د ط، دار المعرفة الجامعية.

4- المراجع المترجمة:

- أورزولا شوي، أصل الفروق بين الجنسين، ترجمة: بوعلي ياسين، الطبعة الثانية، دار الحوار للنّشر، اللاذقية، سوريا، 1995.
- رومان سلدن، النظرية النسوية النفسانية في الأدب، تر: سعيد الغانمي، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، المجلد 6، جيزران، 1944.

5- الأبحاث والرسائل الجامعية والمحاضرات:

- علي نصوح مواس، النسوية في النقد الأدبي، محاضرة قدمت في الجامعة الأردنية، بتاريخ 2010/04/19

5- المواقع الإلكترونية:

- فيروز شحور، الكتابة النسوية بين الحلم والاضطهاد، الواقع، على الموقع: *https://www.blog-amin.org* تاريخ الدخول: 2022/01/15 على الساعة: 11:30.

فهرس الموضوعات

مقدمـــة.....أ

مدخل **4**

مفهوم الرواية 5

المرأة والرواية 6

الفصل الأوّل:

جدلية المركز والهامش والكتابة النسوية

المبحث الأوّل: جدل المفاهيم وطبيعة العلاقة بين المركز والهامش. 10

المطلب الأول: جدل المفاهيم وطبيعة العلاقة 10

مفهوم المركز والهامش 10

1-مفهوم المركز 10

أ-لغة..... 10

ب-اصطلاحا 11

-المركز اجتماعيا 11

2- مفهوم الهامش..... 11

أ-لغة 11

ب-اصطلاحا 12

أولا: المركز والهامش في المنظور الاقتصادي 12

ثانيا: المركز والهامش في المنظور السياسي..... 13

ثالثا: المركز والهامش في المنظور الاجتماعي 13

رابعا: المركز والهامش في المنظور الأدبي 14

المطلب الثاني: جدليّة المركز والهامش 15

المطلب الثالث: طبيعة العلاقة بين المركز والهامش 16

1-المتن/ الحاشية 16

2-الأدب الذكوري/ الأدب النسوي 17

المبحث الثاني: الرواية النسوية وتواتر صورة المرأة بين المركز والهامش. 19

المطلب الأول: النسوية والكتابة الإبداعيّة. 19

1-تعريف النسوية 19

2-النسوية عند الغرب 20

3-النسوية عند العرب 21

4-النسوية في الجزائر 23

5-خصائص الكتابة النسوية 25

المطلب الثاني: تصوير الدين للمرأة. 26

1- المنظور اليهو مسيحي (المرأة الخطيئة) 26

2- المنظور الإسلامي 29

المطلب الثالث: التصوير الثقافي للمرأة. 33

1- التّراث الشّعبي 33

2- التراث الثقافي 34

الفصل الثاني

دراسة تحليلية لرواية "بوابة الذكريات" لآسيا جبار

تمهيد 37

1- في السّلطة الاجتماعية 39

2- السلطة الكلونيالية..... 42

3- السلطة الذكورية 44

أ-السّلطة الأبويّة 44

ب-سلطوية الرّجل/ الخطيب 47

خاتمـــة..... **50**

ملحق **53**

1 ملخّص الرواية 54

2-نبذة عن الكاتبة "آسيا جبار" 58

قائمة المصادر والمراجع **60**

فهرس الموضوعات **72**